# المائة الثالثة

## ٤١ — عبد الرحمن بن الحَكَم بن هشام الرّضا بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أبو المُطَرِّف

وهو عبد الرحمن الأوسط والرابع من خلفاء بنى أمية بالأندلس . بويع له يومَ وفاة أبيه الحَكَم المعروف بالرَّبَضِيّ يومَ الخميس لثلاث — وقيل لأربع — بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين[1] .

وكانت خلافتُه إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام . وكان فصيحاً مفوّهاً شاعراً ، مع سعة العلم والحلم وقلة القبول للبَغْى والسعايات . وهو الذى استكمل فخامةَ المُلك بالأندلس ، وكسا الخلافةَ أبهة الجلالة . وظهر فى أيامه

---

(١) بويع لعبد الرحمن الأوسط بعد موت أبيه الحكم الربضى بيوم واحد ، أى يوم الخميس ٢٦ ذى الحجة ٢٠٦ . وتاريخ وفاة الحكم الربضى ليس ثابتاً ، لأنه عند ما شعر باقتراب منيته أخذ البيعة لابنه عبد الرحمن ثم لابنه المغيرة من بعده يوم الأربعاء ١١ ذى الحجة ٢٠٦ ، ثم دخل قصره واحتجب حتى مات بعد ذلك بأيام . والثابت هو تاريخ ولاية عبد الرحمن ، وإنما تابعنا فيما قلناه هنا ماذكره ابن عذارى فى البيان المغرب : ٢/٧٧ .

الوزراء والقوادُ وأهلُ الكُوَر ، وشيَّد القصور ، وجلب المياه من الجبل ، وبنى الرصيف على الوادى ؛ وهو القائل متشوقاً ومفتخراً :

فقدتُ الهوى مذ فقدتُ الحبيبا فما أقطع الليـــلَ إلا نحيبا

وإما بدتْ لىَ شمسُ النها ر طالعةً ذكَّرتنى « طَرُوبَا »[1]

---

(١) طروب هى جارية عبد الرحمن الأوسط المحببة إليه وأكبر جواريه سلطاناً عليه ، رغم أنها كانت أقلهن وفاءً له . وقد كان عبد الرحمن مولعاً بالنساء ، فاستكثر من الجوارى ، وكثر لهذا أولاده ما بين ذكور وإناث . وكان أكبر أولاده ، والمرشح لخلافته تبعًا لذلك ، ابنه محمد . وقد ذكرت المراجع أمه ، وهى تبر أو تهتز أو بهير وهذا هو الأصح . التى أرضعته جارية أخرى من جوارى عبد الرحمن هى « الشفاء » وكانت جميلة تقية عاقلة ، خرجت مع زوجها الأمير فى إحدى غزواته فأصابها المرض ، فأعادها إلى قرطبة ، فماتت فى الطريق ، ودفنت فى قرية مجاورة لطليطلة . وقد أنجبت طروب من الأمير عبد الرحمن ابناً سمي عبد الله ، فطمحت نفسها إلى أن تحوز ولاية العهد له ، واجتهدت فى ذلك اجتهاداً عظيماً دون توفيق ، وأخيراً لجأت إلى ما لجأت إليه مثيلاتها فى ظروف مشابهة : دبرت اغتيال عبد الرحمن وابنه محمد ليخلو الجو لابنها ، واشترك فى المؤامرة نصر الفتى كبير خصيان القصر . فكلفا متطبباً وقد من العراق فى ذلك الحين يسمى الحَرّانى بأن يعد سُمًّا ، فأعده خوفاً على نفسه من طروب ، وأفشى السر إلى جارية أخرى تسمى « فَخْر » فأبلغت الأمير ، فلما أتاه نصر بالشراب المسموم طلب إلى نصر أن يشربه فى حضرته ، فلم يستطع إلا أن يفعل ومات . أما طروب فلا نسمع أن الأمير غضب عليها . وهذا يميل بى إلى الشك فى حكاية المؤامرة كلها ، وإن كانت قد وردت عند الثقات من مؤرخينا ، إذ كيف يعقل أن تقوم طروب بذلك ثم لا يصيبها عقاب ؟ وإذا كان المراد هو التخلص من محمد ولى العهد وأبيه عبد الرحمن ، فلماذا لم يقدم السم إلى هذا أيضاً ؟ الحقيقة – فيما أحسب – أن عبد الرحمن أكثر من الجوارى ، وكانت جواريه معروفات للناس بأسمائهن ، ذكر المؤرخون منهن طروباً والمؤمرَّة والشفاء والمَدَنيّات الثلاث فضـــل وقلم وعلم ، فكان ذلك مثاراً لكثير من الشائعات والأقاويل .

انظر : التكملة لابن الأبار ، القسم الذى نشره A. GONZALEZ PALENCIA و M. ALARCON فى الكتاب المسمى ***Miscelánea de Estudios y textos Arabes***. Madrid. أرقام ٢٨٥٢ و٢٨٥٣ و٢٨٥٤ و٢٨٥٥ و٢٨٥٦ و٢٨٥٨ .

وابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص ٧٦ – ٧٧ .

فيا طولَ شوق إلى وجهها ويا كبداً أورثتها نُدوبا
ويا أحسنَ الخلقِ فى مقلتىّ وأوفرَهم فى فؤادى نصيبا
لئن حال دونكِ بُعدُ المزا رِ مِن بَعد أن كنتِ منى قريباً
لقد أورث الشوقُ جسمى الضنى وأضرم فى القلب منى لهيبا
عدانى عنكِ مزارُ العِدا[1] وقَوْدى إليهم لُهَاماً لهيبا
كأيِّنْ تخطَّيْتُ من سَبْسبٍ[2] وجاوزتُ بعد دروبٍ دروبا
ألاقى بوجهىَ حرَّ الهجيرِ إذا كاد منه الحصى أن يذوبا[3]
وأدّرِعُ النَّقْعَ حتى لَبِسْـ ـتُ مِن بَعد نضرة وجهى شحوبا
/أريد بذاك ثوابَ الإلٰه ومَن غـــيره أبتغيه مُثيبا [٢٣ - ب]
أنا ابنُ الهِشامَيْن مِن غالبٍ أَشُبُّ حروباً وأُطْفِى حروبا
بِىَ ادّارَكَ اللهُ دينَ الهُدَى فأحْيَيْتُه واصْطَلَمْتُ الصليبا
سَمَوْتُ إلى الشِّرْكِ فى جَحْفَلٍ ملأْتُ الحُزونَ بِهِ والسُّهُوبا
وذكر سَكَنُ بنُ إبراهيم الكاتبُ[4] وغـــيرُه أنه أمر

(١) أورد ابن عذارى الأبيات ابتداء من هنا ، وقال إن عبد الرحمن قالها عندما خرج لغزو جليقية سنة ٢٣٥ ، وأخطأ فقال : فقال عبد الرحمن ابن الشَّمر (٢/٨٥ - ٨٦) ، وصحّحها « فقال عبد الرحمن بن الحكم » .

(٢) عند ابن عذارى : وكم قد تعسفت من سبب .

(٣) عند ابن عذارى :

ألاقى بوجهى سموم الهجـــ ـير وقد كاد منه الحصى أن يذوبا

(٤) لم نعثر على أى تفصيل خاص بحياة سكن بن إبراهيم الكاتب على الرغم من أنه كان من أوائل المؤرخين فى الأندلس ومجيديهم ، فهو مصدر من مصادر ابن حيان ؛ وابن سعيد - فى الذيل الذى علقه على رسالة فضل الأندلس لابن حزم - يسميه بالأخبارى ، ويثنى عليه ويذكر له كتاباً عن طبقات الكتاب فى الأندلس ، وقد سماه ابن حزم « سكن بن سعيد » . وكل ما لدينا من المعلومات عنه أنه كان من إشبيلية وأنه توفى سنة ٤٥٧/١٠٦٥ .

انظر : الضبى ، بغية ، رقم ٨٣٤ ص ٣٠٣ .

لجارية[١] من حظاياه بعقد جوهر كانت قيمته عشرة آلاف دينار ، فجعل بعضُ من حضره من وزرائه وخاصته يُعظم ذلك عليه ويقول : « إن هذا من الأعلاق المضنون بها ، المدخرة للنائبة » ، فقال له عبد الرحمن : « ويحك ! إن لابس العقد أنفس خطراً ، وأرفع قدراً ، وأكرم جوهراً . ولئن راق من هذه الحصباء منظرُها ، ولَطُف إفرِنْدُها ، لقد برأ الله من خلقه البَشرى جوهراً تَعْشَى منه الأبصار وتَتِيهُ الألباب . وهل على الأرض من شريف جوهرها ، وسَنِيِّ زِبرِجِها[٢] ، ومُسْتَلَذِّ نعيمها ، وفاتن بهجتها ، أَقَرُّ لعينٍ ، أو أجمعُ لزينٍ ، من وجهٍ أكملَ اللهُ حُسنَه ، وألقى عليه الجمالُ بهجتَه ؟ » ثم دعا بعبد الله بن الشمر[٣] شاعرِه وجليسِه فذكر له ما كان بينه وبين وزيرِه فى شأن العِقد وقال : « هل يحضرك

---

= المقرى ، نفح الطيب (لايدن) : ٢/١١٩ .

جايانجوس ، ترجمة القسم الأول من نفح الطيب المعروفة باسم ***History of the Muhammedan Dynasties in Spain.*** ١/٤٦٤ .

الغزيرى ، فهرس الإسكريال : ٢/١٣٧ .

يونس بونجس : المؤرخون والجغرافيون ، رقم ١٠٤ ص ١٣٨ .

الترجمة الفرنسية لرسالة ابن حزم فى فضل الأندلس التى عملها ***Charles Pellat*** ونشرها باسم : ***Ibn Hazm, Bibliographe et Apologiste*** **(Al-Andalus, XIX (1954) fasc. 1, § 27. p. 87 et n. 16.**

وأنخل جنذالث پالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة ناشر هذا الكتاب (القاهرة ١٩٥٥) ص ٢١٠ .

(١) قرأها دوزى (٦٢) : بجارية . وأورد نفس الخبر ابن عذارى فى البيان (٢/٩٢) وقال إن هذه الجارية هى طروب .

(٢) البيان (٢/٩٢) : زبرجدها .

(٣) عبد الله بن الشِّمر بن نمير القرطبى ، شاعر عبد الرحمن الأوسط ومنجمه . ترجم له ابن سعيد فى « المغرب » ترجمة واسعة وجعله تحت علماء التنجيم ، وأورد كثيراً من شعره ونوادره فى التنجيم (طبعة الدكتور شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٥٣) رقم ٥٩ ج١ ص ١٢٤ .

شيء فى تأكيد ما احتججنا به ؟ » ، قال : « نعم » ، وأطرق بُرَيْهَةً ثم أنشأ يقول :

أتُقْرَنُ[1] حصباء اليواقيت والشَّذْرِ ... إلى مَن تعالى عن سَنا الشمسِ والبَدْرِ ؟
إلى مَن بَرَتْ قِدْماً يدُ اللهِ خَلْقَهُ ... ولم يَكُ شيئاً غيرُه أحدٌ يَبْرِى[2] ؟
فأكرِمْ به مِن صيغةِ[3] اللهِ جوهراً ... تضاءلَ عنه جوهرُ البَرِّ والبحر
له خَلَقَ الرحمٰنُ ما فى سمائِهِ ... وما فوقَ أرضيه ومَكَّنَ فى الأمر

فأعجبَ الأميرُ عبدُ الرحمن ببديهته ، وتحركَ طبعُه للقول وأنشأ يقول مناغياً على رَوِيِّه :

قَريضُك يا ابنَ الشمر عَفَّى على الشِّعرِ ... وأشرقَ بالإيضاح فى الوهم والفكرِ[4]
إذا جال فى سمعٍ يُؤدِّى بسحرهِ ... إلى القلبِ إبداعاً يَجِلُّ عن السِّحْرِ[5]
/ وهل بَرَأ الرحمنُ فى كل ما برا ... أقرَّ لعينٍ من مُنَعَّمَةٍ بكرِ [٣٤-١]
ترى الوردَ فوق الياسمينِ بخدِّها ... كما فَوَّفَ[6] الروضُ المنوَّرُ بالزهرِ
فلو أننى مُلِّكْتُ قلبى وناظرى ... نَظَمْتُهما منها على الجيد والنحرِ

فقال له ابنُ الشمر : « يا ابنَ الخلائف ، شِعرك والله أجود من شِعرى ،

---

(١) الأصل : أيقرن ، والتصويب من البيان المغرب : ٢/٩٢ .
(٢) الأصل : يبصرى ، والتصويب من البيان : ٢/٩٢ .
(٣) فى البيان : صنعة .
(٤) فى البيان (٢/٩٢) : وجل عن الأوهام والذهن والفكر .
(٥) فى البيان (٢/٩٢) :
إذا شافهته الأذن أدى بسحرها ... إلى القلب إبداعاً فجل عن السحر
(٦) عند دوزى : فُوِّق ، ورواية الأصل صحيحة . فَوَّف من الفوف ، وهو البياض مع رقة (اللسان : ١١/١٨٠) .

وثناؤك عليه أفضل من صِلتى ، وما مِنحتُك لى إلا تَطَوُّلاً منك بغير استحقاق منى » ، فأضعف جائزته وأكثر الثناء عليه[1] .

وله أيضا فى النسيب :

قتلتَنى بهـــواكا وما أحِبُّ سِواكا
مَن لى بسحرِ جُفونٍ تُدِيره عَيْنـــاكا
وحمرةٍ فى بياضٍ تكسى به وجنتاكا
اِعطِف علىَّ قليلاً وأَحْيِنى برضاكا
فقد قنعتُ وحسْبى بأن أرى من رآكا

وحكى ابنُ فرج صاحب « كتاب الحدائق » أنه فرَّق فى يومِ فَصْدٍ له بِدَراً على مَن حَضَرَه ، وعبيدُ الله بن قَرْمان أحد خواصه ومواليه غائب فى باديته ، فابتدر فوجد أمراً قد نفذ ، فكتب إليه بأبيات منها :

يا مَلِكاً حَلَّ ذُرَى المجـــدِ وعَمَّ بالإنعـــام والرِّفْدِ
طُوبَى لمنْ أسْمعتَه دعوةً فى يومِك المأنوسِ بالفَصْدِ
فظلَّ ذاكَ اليومَ مِن قَصْفِهِ مُستوطِناً فى جَنة الخُلْدِ
وقد عَدَانى أن أرى حاضراً جَدٌّ متى يُحْظِى الورى يكـــدِ
فامْنُنَ بتنويلىَ جَدًّا لم يزلْ يَعُدُّ أهـــلَ القُرب والبُعدِ

---

(١) روى ابن عذارى ( البيان : ٢/٩٣ ) نادرة لطيفة ، قال : ثم أمر لابن الشمر ببدرة فيها خمسمائة دينار ، فخرج مع الوصيف يحملها له تحت إبطه ، فلما تواريا عن الأمير قال له الوصيف : « أين لَذات العمر يا ابن الشمر ؟ » فقال : « تحت إبطك يا سيدى . . »

فوقّع فى أسفل كتابه : « مَن آثرَ التَّضَجُّع فليَرْضَ بحظه من النوم ! » ، فجاوبه ابنُ قرلمان بأبيات أولها :

* لا نمتُ إن كنتُ يا مولاى محروماَ *

فأمر له بالصِّلَة وردَّ فى جوابه :

لا غَروَ أنْ كنتَ ممنوعاً ومحروماَ إذ غبتَ عنّا وكان العرفُ مقسوماَ
فلن ينالَ امرؤٌ من حظه أملاً حتى يشُدَّ على الإجهادِ حَيْزوماَ
/ فهاكَ من سَيْبِنا ما كنتَ تأمُله إذ حُمْتَ فوق رجاءِ الوِردِ تحويماَ [٣٤ - ب]

## ٤٢ — ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحَكم ، أبو عبد الله

بويع له فى صبيحة الليلة التى توفى فيها أبوه ، وذلك يوم الخميس غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائتين وهو ابن ثلاثين سنة . وكان أيمنَ الخلفاء بالأندلس مُلكاً ، وأسراهم نفسا ، وأكرمهم تَثَبُّتاً وأناةً ؛ وكان السعى عنده ساقطاً . يجمع إلى هذه الخلال الشريفة البلاغةَ والأدبَ . وتوفى يوم الخميس مُنْسَلخ صفر — وقيل لليلة بقيت منه — سنة ثلاث وسبعين ومائتين وهو ابن خمس وستين [ سنة ] ، فكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً . وهو القائل فى منصرفه من بعض غزواته :

قفَلتُ فأغمدتُ السيوفَ عن الحربِ وما أغمدتْ عنى السيوفُ من الحبِّ
صدرتُ وبى للبعد ما بى ، فزادنى إلى الشوق أشواقاً رجائىَ فى القربِ
أُحُلُّ شِدادى فى السرادقِ نازلاً وللشوق عقد ليس ينحلُّ عن قلبى
أقُرطبة ، هل لى إليكِ وفادة تقر بعينى أو تمهد من جنبى ؟

سَقى القصرَ غيثٌ بالرُّصافة[1] مثلهُ وجادت عَزَالِيهِ[2] كجودىَ فى الجدب
عدانى عدوٌّ عن حبيبٍ ، فزرتُهُ بجيشٍ تضيق الأرضُ عن عَرضه الرحب
إذا اسودَّ من ليلِ الدروع تبلجتْ أسنَّتُه فيه عن الأنجم الشُّهْب
على أننى حِصْنٌ لجيشى إذا التقَوْا وعزمى بهمْ أدنى السيوف إلى الضرب

وله :

ذكرَ الصَّبوحَ فظل مصطبحًا يستعمل الإبريقَ والقدحَا
ما زال حيًّا وهْوَ يشربُهـا حتى أماتته الكؤوسُ ضُحَى

## ٤٣ — ابنه الأمير عبد الله بن محمد ، أبو محمد

وَلىَ بعد أخيه أبى الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن فى صفر سنة خمس
[٣٥-١] وسبعين ومائتين ، وتوفى سنة ثلاثمائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، / فكانت خلافتُه خمساً وعشرين سنة . وكان أديباً ، شاعراً ، بليغاً ، بصيراً باللغة والغريب وأيام العرب . وفى أيامه اضطرمت نار الفتنة بالأندلس فتنغَّص عليه مُلكه .

ومن مشهور شعره ما وقَّع به إلى الوزراء فى قصة موسى بن حُدَيْر وعيسى ابن أحمد بن أبى عبده[3] ، إذ أراد كل واحد منهما أن يكون مجلسُه فوق الآخر ،

(١) قرأ دوزى هنا (ص ٦٥) : فالرصافة .

(٢) يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر الجَوْد قد حلت عَزَالِيها وأرسلت عزاليها (اللسان : ١٤/٤٦٩ — ٤٧٠) .

(٣) بنو حُدَير وبنو أبى عبدة من بيوت الأندلس الكبيرة التى تقاسمت الوظائف الكبرى فى الإمارة ثم فى الخلافة الأندلسية ، وكانت تعرف بالبيوتات ، وأكبرها هذان البيتان ثم بنو شهيد وبنو عبد الرءوف وبنو فطيس ، وكلهم من موالى الأمويين المشرقيين أو الأندلسيين أو موالى مواليهم . فبنو حدير كانوا من موالى البيت الأموى المشرق ولهذا كانوا معدودين فى =

فَسْخاً لما كان قد رتَّبه والدُه الأميرُ محمد بن عبد الرحمن من رفع الموالى الشاميين على البلديين :

موالى قريشٍ من قريشٍ فقدِّموا ... موالى قريشٍ لا موالى مُعَتِّبِ
إذا كان مولانا يساوم عندنا ... سِـــواه فمولانا كآخر أجنبى

حوَّل اسم « مغيث » إلى « مُعَتِّب » إغماضاً وانقياداً للقافية .

وله فى النسيب :

يا كَبِدَ المشتاق ما أوجعكْ ... ويا أسيرَ الحب ما أخضعكْ
ويا رسولَ العين من لحظها ... بالرد والتلميغ ما أسرعكْ
تذهب بالسر وتأتى به ... فى مجلسٍ يَخْفَى على مَن معكْ
كم حاجةٍ أنجزتَ موعدَها ... تبارك الرحمٰنُ ، ما أطوعكْ !

وله فى ذلك :

ويْحِي على شادنٍ كحيلٍ ... فى مِثله يُخلَع العِـــذارُ
كأنمـــا وجنتاه وردٌ ... خالطَـــه النَّوْرُ والبَهارُ
قضيبُ بانٍ إذا تثنَّى ... يُدير طرفاً به احورارُ
وقْفٌ عليه صفاءُ وُدِّى ... ما اختلف الليلُ والنهارُ

---

= الشاميين ، أما بنو أبى عبدة فكانوا موالى مغيث الرومى مولى الوليد بن عبد الملك ، ولهذا فقد كانوا معدودين فى البلديين أى أهل البلد ، لأن أصلهم من الأندلس . وقد كان الأمير محمد قد قرر أن يتقدم الشاميون على البلديين ، ومن المعروف أن الوزارة فى الأندلس كانت تتألف من حاجب أشبه برئيس الوزراء ثم عدد من الوزراء ، فلو اجتمع فى الوزارة شامى وبلدى كان التقدم للأول . وكان كل من موسى بن محمد بن حدير وعيسى بن أحمد بن أبى عبدة من أكبر رجال بيتيهما ، وقد ولى أولهما الحجابة للناصر . فلما اجتمعا فى الوزارة أيام الأمير عبد الله أراد عيسى بن أحمد ابن أبى عبدة أن يتقدم على صاحبه ، لأن أباه أبا العباس أحمد بن أبى عبدة كان أكبر قواد الأمير عبد الله وهو صاحب الفضل فى إنقاذ الإمارة من الضياع ، ولكن الأمير عبد الله آثر أن يظل الأمر كما رسمه أبوه ، وقرر أن يظل بنو حدير متقدمين على بنى أبى عبدة .

وله فى الزهد :

يا مَن يراوغه الأجلْ حَتّامَ يُلهيكَ الأملْ
حَتّامَ لا تخشى الرَّدَى وكأنه بكَ قد نزلْ
أغفَلْتَ عن طلبِ النجا ةِ ولا نجاةَ لمن غَفَلْ
هيهات يَشغلُك الرجا ء ولا يدوم لك الشُّغُلْ

[٣٥ - ب] / وله فى مثله :

أرى الدنيا تصير إلى فناءٍ وما فيها لشئٍ من بقاءِ
فبادرْ بالإنابةِ غيرَ لاوٍ على شئٍ يصير إلى فناءِ
كأنكَ قد حُملتَ على سريرٍ وصار جديدُ حُسنكَ للبلاءِ
فنفسَك فابْكها أو نُحْ عليها فرُبَّتَما رُحِمْتَ على البكاءِ

وكان ، بفضل أدبه ، ربما استرسل ، فقال بحسب ذلك أو تمثل ، ثم لا يدعه كرمُ الأوائل ، وشرف الشمائل ، حتى يُدنى من أقصاه ، ويُبدى لمن أعتب رضاه . قال فى النَّضْر[1] بن سَلمة الكِلابى :

أنت يا نضر آبِدَهْ لستَ تُرْجَى لفائدهْ
إنما أنت عـــدة لـــكنيف ومائده

---

(١) فى الأصل : النضر بوضوح ، وكذلك عند ابن عذارى (٢/١٥٤) . ولكن فرانثيسكو كوديرا ناشر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى قرأه : نصر . وهو النضر بن سلمة ابن وليد بن أبى بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد بن على الكلابى القيسى . ترجم له ابن الفرضى تحت رقم ١٤٩٦ ، ج ٢/٢٨ - ٢٩ وقال إنه من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد ، استقضاه الأمير عبد الله بن محمد بقرطبة مرتين ثم استوزره . . وقال الرازى إنه توفى يوم الثلاثاء ٩ ذى الحجة ٢٦/٣٠٢ يونيو ٩١٥ . وترجم ابن الفرضى لأخيه محمد تحت رقم ١١٣٩ (٢/٣٢٠) وقال إن الأمير عبد الله استقضاه بعد أخيه النصر (كذا وصحتها : النضر) بن سلمة ، وكان رجلا صالحاً كثير العلم . توفى فى ذى الحجة ٢٨٩/نوفبر ٩٠٢ .

وعلى ذلك استقضاه مرتين ، ثم استوزره واستقضى أيضاً أخاه محمد بن سلمة تقيّلا للأخلاق الحَكَمية[١] ، وجرياً على الأعراق العَبْشَمية .

وقرأتُ فى تاريخ الحُمَيدى ، أن الوزير سليمان بن وانسُوس[٢] — وكان من رؤساء البربر — دخل عليه يوماً — وكان عظيم اللحية — فلما رآه مقبلا جعل الأمير عبد الله ينشد :

هِلَّوفة[٣] كأنها جوَالِقُ نكراء لا بارك فيها الخالقُ
للقمل فى حافاتها نفائقُ فيها لباغى المتّكا مرافقُ
وفى احتدام الصيف ظلٌّ رائقُ إن الذى يحملها لمائقُ

ثم قال له : « اجلس يا بربرى ! » فجلس وقد غضب فقال : « أيها الأمير ، إنما كان الناس يرغبون فى هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم ، وأما إذ صارت جالبة للذل فعَنِينا عنكم ، فإن حُلْتُم بيننا وبينها فلنا دور تسعنا ، لا تقدرون على أن تحولوا [ بيننا و ][٥] بينها » ثم وضع يديه فى الأرض وقام من غير أن يسلم ،

---

( ١ ) هنا يلمح ابن الأبار ويشير إلى ما تقتضيه « الأخلاق الحكمية » و« الأعراق العبشمية» إشارة إلى غضب السلطان أبى زكريا عليه وإبعاده وإلزامه بيته ، مما حفز ابن الأبار على تأليف كتابه « إعتاب الكتّاب » على ما هو معروف وما ذكرناه فى المقدمة . وقد كان ابن الأبار سيىء الحظ فى تونس بسبب حدة مزاجه وعدم ضبطه لسانه ، فكان معظم أيامه مبعداً أو مغضوباً عليه كالمبعد ، ولهذا تكثر فى كتبه مثل هذه الإشارات .

( ٢ ) سيترجم ابن الأبار لسليمان بن وانسوس هذا فيما بعد .

( ٣ ) الهلوفة والهلوف اللحية الضخمة . ( ٤ ) ربما كانت صحتها نقائق أى نقيق .

( ٥ ) وردت هذه العبارة مضطربة بالأصل ، بعضها فى المتن وبعضها فى الهامش ، وقد وردت « فغنينا » « تغنينا » وقد قومها دوزى ( ص ٦٧ ) على هذا النحو ، وهو تقويم مقبول ، فأخذناه . وقوله : « فإن حلتم بيننا وبينها » المراد بها المنزلة أووظيفة الوزارة التى كان يحتلها سليمان بن وانسوس فى ذلك الحين . وأما قوله : « فلنا دور تسعنا لا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها » فإشارة إلى بيت أسرته الأول فى ماردة ، وكان جده قد ثار فيها وامتنع على الحكم الريضى وسبب له متاعب طويلة حتى استسلم ولده وانسوس ونشأ ابنه سليمان فى قرطبة على الطاعة . وتصرف الأمير عبد الله مع سليمان يعرض علينا جانباً من سياسته العامة ، فقد كان يداري الناس ما أمكن تجنباً لمزيد من الثورات التى ملأت عصره كله .

ونهض إلى منزله ، فغضب الأمير وأمر بعزله ورفع دَسْتَه[١] الذى كان يجلس عليه ؛ وبقى كذلك مدة .

ثم إن الأمير عبد الله وجد فَقْدَه[٢] لغَنائه وأمانته ونصيحته وفضْل رأيه ، فقال للوزراء : « لقد وجَدتُ لفقد سليمان تأثيراً ، وإن أردتُ استرجاعَه ابتداء منا كان ذلك غضاضةً علينا ، ولوَددتُ أن يبتدئنا بالرغبة » ، فقال له / الوزير [٣٦-١] محمد بن الوليد بن غانم : « إن أذنتَ لى فى المسير إليه استنهضتُه إلى هذا » فأذن له . فنهض ابنُ غانم إلى دار ابن وانسوس فاستأذن ، وكانت رُتبة الوزارة بالأندلس أيام بنى أمية ألا يقوم الوزير إلا لوزير مثله ، فإنه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبته ولا يحجبه أوّلا لحظةً[٣] ، فأبطأ الإذنُ على ابن غانم حيناً ، ثم أذن له ، فدخل عليه فوجده قاعداً ، فلم يتزحزح له ولا قام إليه . فقال له ابن غانم : « ما هذا الكِبْر ؟ عهدى بك وأنت وزير السلطان وفى أبهة رضاه تتلقانى على قَدم وتتزحزح لى عن صدر مجلسك ، وأنت الآن فى موجدته بضد ذلك ! » فقال له : « نعم . لأنى كنت حينئذ عبداً مثلك ، وأنا اليوم حر » ، فيئس ابنُ غانم منه وخرج ولم يكلمه ، ورجع إلى الأمير فأخبره ؛ فابتدأ الأمير بالإرسال إليه ورده إلى أفضل ما كان عليه .

## ٤٤ — يعقوب ابن الأمير عبد الرحمن بن الحَكم بن هشام

ويُكنى أبا قُصَىّ ؛ كان أديباً شاعراً مطبوعاً كلفاً بالعلوم ، جواداً لا يُليق

(١) أى عزله من الوزارة . وقد كان لكل عضو من أعضائها دست أى مقعد يجلس عليه عند اجتماع الوزراء . وكان دست رئيسهم — وهو الحاجب — أعلى من دسوت الآخرين.

(٢) الأصح أن نقرأ هنا : وَجِد لفقده ، أى حزن لغيابه .

(٣) كذا فى الأصل بوضوح . وأصح أن نقرأ هنا : ولا لحظة .

شيئا[١] ، وهو القائل فى ابن أخيه أبى أمية العاصى ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن من قصيدة :

تُنادِى ماجداً من عبد شمسٍ زكىّ الفرع مفضالَ اليدينِ
سما للمكرُمات فقدْ حواها بهنـــدىٍّ وخطارٍ رُدَينى
وغَيْثاً حين يَسْكُبُ لا الثريا به جادتْ ولا نوء البُطَيْنِ

ما أحسن قول أبى مروان بن حيان ، وذَكَر ثناء معاوية بن هشام الشبينسى على أبى قُصى هذا : أقول : وصَفه بالطبع فى الشعر ، ثم لم ينشد له ما يصدِّق وصْفَه ، بل أنشد له ثلاثة أبيات [ من قصيدة مدح بها ابن أخيه العاصى ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ][٢] ليست بطائل . وله مما قرأتُ فى « كتاب الحدائق » لابن فرج :

يا ابنَ الخلائف من بنى فِهْرٍ [ ... ... ... ... ] الزهرِ[٣]
يا أكْرَمَ[٤] الأمـــلاك كلهم [ ... ... ... ... ] مضطر
إن الصيام قد انقضى ومضى يندى يديك [ ... ... ] البشر

---

(١) يقال : فلان ما يُليق شيئاً من سخائه ، أى ما يمسك . ( اللسان ١٢/٢١٠ ) .

(٢) ابن الأبار ينقل هنا عن ابن حيان ، وقد وجدت الموضع فى مخطوطته التى عثرنا عليها ، وأعدَّها للنشر مع الدكتور محمود على مكى ( ١٩٥ – ا ) ، وأكملت نقص متن ابن حيان منها . وقد علق ابن حيان على هذه الأبيات بقوله : اضطرته القافية إلى أن قرن بين أغزر الأنواء وأنزرها ، فأحال جدا » . والأبيات الثلاثة هى المذكورة آنفاً ، وبين روايتى ابن حيان وابن الأبار لما نقلاه عن معاوية ابن هشام الشبينسى بعض خلاف فى الألفاظ .

(٣) وردت هذه الأبيات فى الأصل مبتورة هكذا ، ومن أسف أننا فقدنا كتاب الحدائق لابن فرج ، ولم أستطع إكمالها من أى مرجع آخر .

(٤) فى الأصل : كرام ، وصوبتها للوزن .

## [٣٦ - ب] /٤٥ - أخوه بِشْر ابن الأمير عبد الرحمن

ذكر أبو محمد بن حزم فى كتاب « جَمهرة الأنساب »[١] أنه كان شاعراً ، وأنشد له أبو عمر بن فرج صاحب « كتاب الحدائق » :

حجابك لى عن الدنيا حجابُ ويوم لا أراك به عـــذابُ
وقد كانت تضيق الأرضُ عندى إذا واراك سِـــتْرٌ أو نقابُ
فكيف أعيش إذ[٢] واراك عنى قصور دونَهـــا بابٌ فبابُ ؟

وليعقوب و بِشْر هذين إخوة جلة [ منهم ][٣] هشام ، وكان من أهل العلم والفضل والبصر بالعربية ، وأكثَرَ من الرواية عن يحيى بن يحيى . وكان أبوه الأمير عبد الرحمن الحكم قد نصَبه فى خلافته للصلاة على جنائز أهل قصره وأكابر رجاله ، كما نصب عبد الرحمن [ بن معاو ] ية ابنه هشاماً . [ ومنهم أبان و ء ] ثمن على اختلاف فيه ، [ وهما ][٤] ابنا عبد الرحمن بن الحكم ، وكانا أديبين شاعرين ، وسيأتى ذكرهما فى آخر التأليف إن شاء الله تعالى .

---

( ١ ) لا وجود لهذا فى « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم التى بين أيدينا ، مما يدل على أن نسختنا مختصرة . ومن أسف أن ذلك الاختصار نال الكثير مما وصلنا من الكتب.

( ٢ ) الأصل : إذا ، ولا يستقيم به الوزن .

( ٣ ) أضافها دوزى هنا ( ٦٩ ) وهى إضافة فى موضعها .

( ٤ ) وردت هذه العبارة مضطربة فى الأصل ، بعضها فى المتن وبعضها فى الهامش ، وقد رتبناها على هذا النحو كما فعل دوزى ( ص ٦٩ ) . وقد أثبت دوزى اسم أبان اعتماداً على أن ابن الأبار ترجم له مع أخيه عثمان بعد ذلك . ولم أجد اسم أبان بين أولاد عبد الرحمن بن الحكم كما أوردهم ابن حيان نقلا عن الرازى ( مخطوط ١٩٤ ب ) ، وليس له ذكر كذلك فى نسب بنى أمية الأندلسيين كما ذكره ابن حزم فى « الجمهرة » ( ص ٩٠ ) ، وربما كان هذا هو السبب فى قول ابن الآبار بعد أن ذكر أبان وعثمان : « على اختلاف فيه » .

# ٤٦ ــ القاسم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحَكم ، أبو محمد

كان من الأدباء الشعراء ، إلا أنه مُقِلّ . وكان أحد الجبابرة الموصوفين ، شديد البَأْو تيّاهاً ؛ وقَبض عليه أخوه الأمير عبد الله فمات فى حبسه مسموماً . ومن شِعره [ و ][1] بديهته السائرة فى الناس ، وقد دخل دار أخيه عثمان بن محمد فاستسقى ماء فأبطأ عليه غلامه لعلة لم يقبلها ، وأنشأ يقول :

الماء فى دارِ عثمانَ له ثمنٌ ... والخُبزُ فيها له شانٌ من الشانِ
فاسْلَحْ على كلِّ عثمانٍ مررتَ به ... إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ

كذا قال ابنُ حيّان ، وهو غلط لاخفاء به . وإنما البيتان من قطعة لعبد الملك بن عبيد الرحيم الحارثى أنشدها أبو عمر [ بن عبد البر النمرى فى كتاب « بهجة ][2] المجالس » من تأليفه وهى :

يا أختَ كِنْدَةَ جافِي شرب عثمان ... وأزْمِعى لبنى أودٍ بهجرانِ
يا أختَ كِندة سِيرى سير ساخطةٍ ... كيْ تنتوِى مُنتوَى غَضْبَى وغَضبانِ
/الماء فى دارِ عثمانَ له ثمنٌ ... والخبزُ فيه له شانٌ من الشانِ [٣٧-١]
عثمان يعلمُ أنّ الحمدَ ذو ثمنٍ ... لكنه يشتهى حمداً بمَجّانِ
والناسُ أكيسُ من أن يَحمدوا رجلاً ... حتى يَرَوْا عنده آثارَ إحسانِ
اغسلْ يديكَ بأشنانٍ وأنقِهما ... غسْلَ الجَنابةِ من معروف عثمانِ
واسلَحْ على كل عثمانٍ مررتَ به ... إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ

(١) أضفنا الواو هنا للسياق .
(٢) بياض فى الأصل ، وهكذا أكله دوزى ، وهو حسن .

وأنشد له الحُمَيْدى وقال فيه [ ... ... ] القاسم غلط منه[1] :

سَكَّنتُ من قلبي الهوى ما أمكنا ولقد أراه للصبابة مَعْدنَا
هذا هلالٌ قد بدا ومدامةٌ تجرى براحته وعيش قد هَنَا

وله أبيات كتب بها إلى محمد بن عبد العزيز العتبى الأديب لم يُجِد رصفَها فرأيت حذفها .

## ٤٧ — المطرف ابن الأمير محمد ، أبو القاسم

شقيق القاسم المذكور آنفاً . برع فى الشعر وهو ابن عشرين سنة ، وتوفى معتَبطاً فى حياة أبيه وهو ابن أربع وعشرين ، وكان آدَبَ وَلَدِ الأمير محمد وأشعرهم . ذكر ذلك ابن حَيّان ، وقال أبو محمد بن حزم فى كتاب « جمهرة الأنساب » من تأليفه — وذَكَر المطرف هذا : « كان شاعراً مفلقاً ، عالما بالغناء . وكان له عَقِب قد انقرض » .

وأنشد له صاحب « الحدائق » يرثى أخاه عبد الرحمن بن محمد :

أخٌ كان إن لم يمرع الناسُ أصبحتْ مواهبُهُ للنـــاسِ وهى مرابعُ
كثيرٌ عليكَ الحزن مِن كلِّ جانبٍ كما كَثرتْ مِن راحتيكَ الصنائعُ
عليكَ سلامُ الله ، إن النَّدى لهُ زوالٌ وإنَّ السمىَ بعدَك ضائعُ

وله فيه :

يا عابدَ الرحمٰن ما أوضح فينـــا سُبلكْ

(١) كذا فى الأصل ، ولم أستطع تقويم العبارة من جذوة المقتبس للحميدى كما وصلتنا .

أيقظتَ[١] شِعرى أبداً فالقول لى والفعل لكْ
ما الثُّكْلُ والحسرة [ ... ] [ ... ... ... ... ][٢]
يا موت أعجلتَ فتًى فى[٣] الرَّوع قِدماً أعجلكْ

وله أيضا : [٣٧ - ب]

أشهَى منَ الكاسِ حاملُ الكاسِ أرعاه ما طاف حول جُلاّسى
يثقل مِن أجـــله الجليسُ ولو كان منَ النسك آمَنَ الناسِ

وكتب إلى أخيه المنذر بن محمد ، وكان ماثلا إليه :

هل أتّـكِى مُشرِفاً على نهرى أرمى بطَرْفى إليه من قصرى
عند أخٍ لو دَهَتْـــه حادثةٌ أعطيتُه ما أحبَّ من عمرى
نشرب نحليـــة[٤] فضيلتها أتحفتِ الخمـــرَ ذِلّةَ الخمرِ ؟

فوعده الكونَ عنده ، فكتب إليه يستنجزه :

وُلوعُ النفسِ بالوعدِ الوَفىِّ وإنجازُ المقال على الوَلىِّ
فإن أرضاك أن نغدو ضحاءً وإلا كان ذاكَ مع العَشِىِّ
نكون ثلاثةً أنتَ المُبَدَّى ونحن إليكَ ، ثم أبو علىٍّ

---

(١) الأصل : أبغضت ، ولا يستقيم بها المعنى . وقد جعلها دوزى : أيْقَضَت ، وما أثبتناه أقرب للسياق .

(٢) تركها الناسخ بياضا ، ولعل تمام البيت :

ما الثكل والحسرة [ لى * الثكل والحسرة لَكْ ]

(٣) نسى دوزى ( ص ٧١ ) هذا الحرف .

(٤) كذا فى الأصل ، وقرأها دوزى ( ص ٧١ ) : قحلية ، ولم أجد أى اللفظين أو ما يقرب منهما فى باب الخمر فى مخصص ابن سيدة ، ولا وجدت لأحدهما معنى يتصل بالخمر فى المعاجم ، وكل ما وجدت فى مفردات ابن البيطار لفظ نحلى ، عقار كان يتطبب به .

وله فى الشَّيب :

إنْ شَيْباً وصَبْوَةً لمُحالُ قد أنَى أن يكونَ عنها زوالُ
ركِبَ الشيبُ لِمَّتى خَلَلَ الشعـ ـرِ لوقتٍ حالتْ به الأحوالُ
فَدَعِ[1] النفسَ عن مزاحٍ ولهوٍ تلك حالٌ مضتْ وجاءتْ حالُ

ولمحمد بن عبد العزيز العُتبى فيه ، يفضِّل شعره على أشعار إخوته وأقربائه

يُغْنِى[2] مسامعنا لديه حَوَالِيًّا بلآلئٍ مِن لفظِهِ وزبرجدِ
والشعرُ يسجدُ نحو قِبلةِ شعرِهِ ولغير قِبلةِ شعرِهِ لم يسجدِ

## ٤٨ — إبراهيم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ، أخوهما

أنشد له ابن فرج فى « كتاب الحدائق » :

دُنُوُّكَ مِنىَ فى منزلى هو المُلْكُ يَسَّرَهُ اللهُ لى
فَيَكْفُفُنا جانب واحدٌ ويجمعنا الشَّرب من مَنْهَلِ [٣٨-١]
وإنْ حالَ دونَك بابَا حديدٍ وقصرٌ مَشِيدٌ من الجَنْدلِ

هؤلاء المروانيون فى هذه المائة .

* * *

ومن الحسنيين فيها :

---

(١) الأصل : فزع . فعل أمر من وزع أى ازجر النفس .
(٢) الأصل : يعنى ، ولا معنى له هنا ، وقد تكون صحته ما أثبتناه .

# ٤٩ – القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن على

وَلى البَصْرة[١] وطَنْجَة وما يليهما لأخيه محمد بن إدريس القائم بعد أبيه سلطان المغرب . وكان إدريس قد ولد محمداً هذا والقاسمَ وأحمدَ وعبدَ الله وعيسى وإدريسَ وجعفراً ويحيى وحمزةَ وعبيدَ الله وداود – وبه كان يُكنَى – وعمرَ ، وبنات .

ولما توفى إدريس مسموماً فى حية عنب[٢] سنة ثلاث عشرة ومائتين – كما تقدم ذكره – اجتمعت البربر على محمد ، فبايع له إخوته جميعاً ، واتخذ مدينة فاس قراراً ، وفرّق بلاد المغرب عليهم[٣] ؛ فنكث أخوه عيسى

---

(١) يريد بَصْرة المغرب وكانت بلداً إسلامياً مشهوراً ، ولا زالت آثاره باقية ظاهرة على يسار الطريق من طنجة إلى سوق الأربعاء ، وهى على نحو ١٠٠ كيلومتر جنوبى طنجة فى خط مستقيم تقريباً ، وتسمى بصرة الكتان أو بصرة الذبان ، أسسها محمد بن إدريس الثانى سنة ٢١٨/ ٨٣٣ ، وقد أطال الكلام عنها أبو عبيد البكرى (ص ١١٠ – ١١١) وذكرها ابن حوقل والإدريسى وغيرهما .

انظر : أحمد المكناسى ، خريطة المغرب الأركيولوچية (تطوان ، ١٩٦١) ص ١١ . وانظر عنها : الاستقصا للسلاوى (الدار البيضاء ١٩٥٤) ١/١٧٢ .

(٢) هذه أيضاً رواية روض القرطاس (ص ٦) وكانت وفاته حسب رواية هذا الكتاب فى ليلة ١٢ جمادى الثانية ٢١٣/٢٩ أغسطس ٨٢٨ وكانت سنه ٣٨ سنة .

(٣) كان محمد بن إدريس بن إدريس قد قسم نواحى دولته بين إخوته ، نصحته بذلك جدته كنزة . وقد أورد هذا التقسيم ابن أبى زرع فى روض القرطاس (طبعة فاس ، ص ٦) ، وابن عذارى فى البيان المغرب (١/٢١٠) ، والسلاوى فى الاستقصا (١/١٧٣) ، والبكرى فى وصف إفريقية ؛ وهذا التقسيم يهمنا هنا لتيسير تتبع الحوادث الخاصة بمن يترجم لهم ابن الأبار من الأدارسة . وفيما يلى جدول مقارن لهذا التقسيم ، ولم نورد نص ابن عذارى لأنه لا يضيف شيئاً ذا بال :

ابن إدريس وخرج عليه ، فكتب محمد إلى القاسم يأمره بمحاربته إذا كان يحاديه[1] فى ولايته ، فأبَى القاسمُ وكتب إليه معتذراً من توقفه عما أمره به :

سأترك للراغب الغربَ نهباً ... وإن كنت فى الغرب قَيْلا ونَدْبَا
وأسمو إلى الشرق فى همـةٍ ... يعز بها رُتَبًا من أحَبّا
وأترك عيسى على رأيهِ ... يعالج فى الغرب همًّا وكربَا

= وصف إفريقية

| | روض القرطاس | الاستقصا |
|---|---|---|
| القاسم : البصرة وطنجة وما والاهما . | طنجة . سبتة . قلعة حجر النسر . تطوان . بلادمصمودة وما إلى ذلك من البلاد والقبائل . | مثل روض القرطاس . |
| داود : هوارة تاسلمت . | بلاد هوارة . تسول . بلاد غياثة . | بلادهوارة . تسول وتازا ومابين ذلك من قبائل مكناسةوغياثة . |
| يحيى : داى وما والاها . | البصرة . أصيلا . العرائش إلى بلاد ورغة . | أصيلا والبصرة والعرائش وورغة . |
| عمر : صنهاجة وغمارة . | مدينة تمنجساس . بلاد هوارة وما والاها . | تيكساس . ترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة . |
| أحمد : لم يذكره فى هذه الولايات . | مكناسة . بلاد فازاز . بلاد تادلا . | مكناسة . تادلا وما بينهما من بلاد فازاز . |
| عبد الله : لمطة وما والاها . | مدينة أغمات . بلاد نفيس . بلاد المصامدة . السوس . | أغمات . نفيس . جبال المصامدة . بلاد لمطة . السوس الأقصى . |
| حمزة : الأودية بقرب وليل . | تلمسان وأعمالها . | وليـلى وأعمالها . |
| عيسى : وازَمُّور وسَلَى . | مدينة شالة وبلاد تامسنا . | سلا . شالة . آزمور . تامسنا وما انضم إلى ذلك من القبائل . |

وأجمع الأربعة على أن الباقين من إخوته كانوا صغاراً ، فبقوا فى كفالة جدتهم كنزة . ويلاحظ أن ابن الأبار فى كلامه هنا يقول إن القاسم تولى البصرة إلى جانب طنجة متابعا البكرى فى حين أنها — حسب روض القرطاس والاستقصا — كانت من نصيب يحيى .

(١) كذا فى الأصل ، واللفظ غير واضح المعنى ، فإن كان المراد أن حدود ولايتيهما متجاورة لم يصح ذلك تماماً كما يتضح من الجدول السابق . والغالب أنها تصحيف للفظ يعاديه أو يجاذبه .

ولو كان قلبىَ عن قلبـــهِ لـكنت له فى القـــرابة قلبَا
وإن أحدث الدهر من ريبهِ شقاقاً علينا وأحدثَ حرباَ
فإنى أرى البُعدَ سِتْراً لنـــا يُجدد شوقاً لدينا وحبًّا
ولم نَجْنِ قطعاً لأرحامنا نُلاقى به آخرَ الدهرِ عَتْباَ
وتبقى العـــداوةُ فى عقبنا وأكرم به حين نعقب عقباَ
وأوفق من ذاك جوب الفلاةِ وقطعُ المخارم نَقْباً فنقباَ

/ فـكتب محمد إلى أخيه عمر — وكان على صَنهاجة وغمارة[1] — يأمره [٣٨-ب] بمحاربة عيسى ، فأجابه وسارع وخرج يريد عيسى بعسكره . فلما قرب من أحواز فاس كتب إلى محمد يستمده ، فبعث إليه من كان معه ، ونفذ فى أصحابه قبل لحاق المدد ، فأوقع بعيسى ونفاه عن عمله واستولى عليه ، فأمره محمد بالإقامة فيه ، ثم أمره بمحاربة القاسم ، فحاربه وتغلب على ما كان بيده ، فتخلى القاسمُ عن ذلك لمحمد وعمر ، وتزهّد وبنى مسجداً على ساحل البحر بأَصِيلاَ ولزمه .

فلما عاين البربرُ ذلك نهضوا إليه وهو بمُرَابَطِه فصرفوه إلى عمله ، ورجع إليه كلُّ من صدر إلى أخويه محمد وعمر .

وقال الرازى ، وذكر أولاد إدريس بن إدريس : « فأما محمد بن إدريس فوَلىَ مدينةَ فاس بعد أبيه ، وقَسَم عمل أبيه على إخوته وأخرجهم عُمّالاً ، ثم أخلد إلى اللهو واشتهر بالشرب والخلوة بالنساء[2] ، فخلعه إخوته ومَلَكَ كلُّ واحدٍ منهم ما تحت يده . ثم لم يلبث محمد أن هلك ولم يعقب ، فوَلىَ أمرَ فاسٍ

(١) هنا أيضاً يختلف التقسيم عما أوردناه فى هامش الصحيفة السابقة نقلا عن روض القرطاس .

(٢) هنا وقع الرازى فى غلط كبير ، فخلط بين الأدارسة خلطاً لا ندرى كيف يقع فيه مثله . فإن محمد بن إدريس بن إدريس كان من صلحاء أمراء الأدارسة وقادريهم ، وقد ظل=

بعد [ ه ][1] القاسم أخوه ، ومَلَكَها ملك سيادة ، وتجمع الناس إليه من كل ناحية[2] ، ولحق المنفيون عن ربض قرطبة بها ، وتمدنت وكثر أهلها .

* * *

= يحكم إلى أن توفى فى ربيع الثانى سنة ٢٢١/مارس ٨٣٥ ، وخلفه ابنه على بن محمد بن إدريس ابن إدريس الملقب بحَيْدَرة ، وظل فى الحكم إلىرجب ٢٣٤/يناير ٨٤٨ ، وخلفه أخوه يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وكان أميراً قادراً ذا عناية بشئون العمران ، وفى أيامه بنى جامع القرويين سنة ٨٥٩/٢٤٥ . ثم خلفه ابنه يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وهذا هو الذى أساء السيرة وكثر عبثه فى الحرم حتى دخل الحمام على امرأة ، فثار الناس عليه بزعامة رجل من أهل فاس يسمى عبد الرحمن بن أبى سهل الجذامى وأخرجه منها فهرب إلى عدوة الأندلسيين فات بها من ليلته ( البكرى ؛ ص ١٢٤ — ١٢٥ )

وكانت زوجة يحيى هذا هى عاتكة بنت على بن عمر بن إدريس « صاحب الريف والسواحل» كما يقول السلاوى ، فكتبت إلى أبيها تعلمه بما وقع ، فجمع رجاله ودخل فاس وتولى الأمر .

أما ما يقوله الرازى من أن القاسم تولى الأمر ، فرده إلى خلط بين القاسم وابنه يحيى . ذلك أن علياً بن عمر المذكور لم يستطع البقاء طويلا فى الحكم ، إذ ثار عليه رجل من الخوارج الصفرية يسمى عبد الرازق الفهرى ، وغلبه على الأمر ، وفر عمر بنفسه إلى بلاد أوربة ، وملك عبد الرازق عُدْوة الأندلسيين من فاس ، أما أهل عدوة القرويين فامتنعوا عليه ، وبعثوا إلى يحيى بن القاسم بن إدريس ، فأقبل وولوه عليهم ، فتمكن من هزيمة عبد الرازق الفهرى ، وملك بلاد الأدارسة إلى أن اغتاله رجل يسمى الربيع بن سليمان سنة ٢٩٢/٩٠٤ .

انظر : روض القرطاس : ص ٦ وما يليها . ابن خلدون ؛ تاريخ : ٤/١٤ — ١٨ . أبو عبيد البكرى : المسالك والممالك ، الجزء الخاص بالمغرب ، نشره دى سلين فى الجزائر سنة ١٩١٠ ، ص ١٢٣ — ١٣٢ . السلاوى ، الاستقصا : ١/١٧٣ — ١٨٣ . أما ابن عذارى فرواياته لأخبار الأدارسة يشوبها كثير من الخطأ ، فهو يخلط بين يحيى الأول ويحيى الثانى ، ويخبط خبطا غريباً : ١/٢١٠ — ٢١٦ .

( ١ ) زيادة لابد منها للسياق .

( ٢ ) هذا يخالف ما فى روض القرطاس ( ص ٧ ) . قال فى شأن القاسم بعد أن ذكر مسير أخيه عمر إليه : « فكانت بينهما حروب عظيمة ، ثم هزم القاسم ، واحتوى عمر على ما بيده من البلاد . وسار القاسم إلى ساحل البحر مما يلى مدينة أصيلا ، فبنى هناك مسجداً على ضفة البحر بموضع يعرف بتاهدارت ، فأقام يتعبد فيه ، وزهد فى الدنيا إلى أن مات رحمه الله تعالى » . وانظر أيضاً البكرى ، ص ١٢٤

## ومن رجال المروانية :

# ٥٠ ـ عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[١]
## الحاجب ، أبو حفص

استحجبه الحكمُ الرَّبَضيّ ، وكان أبوه عبدُ الواحد حاجباً لهشام الرضا والدِ الحكم . وعن ابن حيّان أن هشاماً وَلّى عبدَ الكريم هذا كورة جيّان ، وأنه أغْزَاه أَلَبَة والقلاع[٢] ، وأغزى أيضاً أخاه عبدَ الملك وولاه سَرَقُسْطَة .

---

(١) عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث من أكابر رجال الدولة المروانية الأندلسية أيام الحكم الربضى وابنه عبد الرحمن ، وهو فى الغالب من أولاد مغيث الرومى مولى الوليد بن عبد الملك ، وقد كان أخوه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث من قواد الأمير هشام الرضا ابن عبد الرحمن الداخل . وقد كان عبد الكريم قائداً من قواد الحكم ثم استوزره وولاه الحجابة فأقام فى هذه الوظيفة حتى وفاة الحكم ، واستحجبه أيضاً عبد الرحمن الأوسط مع بقائه على القيادة . وتوفى عبد الكريم فى طريقه إلى غزو جليقية سنة ٢٠٩/٨٢٤ ـ ٨٢٥ . ولم يجد عبد الرحمن من يقيمه مكانه ، فعهد فى قيادة الصائفة إلى أمية بن معاوية بن هشام . وبعد موت عبد الكريم تنافس الوزراء فى الوصول إلى الحجابة وأكثروا السعى والشفاعات حتى أضجروه ، فقرر ألا يوليها أحداً منهم ، وعطلها مدة ثم اختار لها رجلا من المقربين إليه ، لم يكن من الوزراء ولا سبقت له خدمة هو سفيان بن عبد ربه ، وأصله من بربر بَيّانة ، فتولاها إلى أن مات ، ثم خلفه فيها عبد الرحمن بن غانم ، ثم صارت إلى عيسى بن شهيد معظم أيام عبد الرحمن الأوسط . ويجمع مؤرخو الأندلس على أنه لم يل الحجابة أقدر ولا أصلح من عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وعيسى بن شهيد ، وهم يقولون إن عبد الكريم كان أكفأ وأقدر من صاحبه ، ولكن عيسى كان أسلم خلقاً إذ لم يكن يقبل المكافأة على قضاء الحاجة ، أما عبد الكريم فإنه كان يقبل ذلك ولا يأباه . ( أبوبكر بن القوطية ، برواية ابن حيان ، المخطوط ص١٩٥ ا ، ١٩٥ ب ) .

(٢) أَلَبَه والقلاع ، علمان جغرافيان يستعملان عادة معاً فى النصوص العربية . أما ألبه فهى Alava وهى الإقليم الواقع عند منابع نهر إبرُه على الضفة اليمنى ( الشمالية ) للنهر . وأصل الاسم غير معروف ، فذهب بعضهم إلى أنه مشتق من Uraba و Alba ، بل ذهب بعضهم =

وكان عبدُ الكريم بليغاً مفوهاً شاعراً ، ووَلِىَ الكتابةَ للحَكَم إثر محمد بنِ أمية ، وقاد الصوائف ، وجرت على يديه فتوح جسام . وعلى يديه استأمن أهلُ الرَّبَض ؛ وله رسائل عن الحكم فى الهَيْج . ذكر ذلك عيسى بن أحمد الرازى ، قال : « وأخرجه الحكمُ إلى عَمْروس[1] — وكان قد خلع بسَرَقُسْطَة — فاستماله وقدم به قُرْطُبَةَ ، فوصله الحكمُ وخَلع عليه وسَجَّل له على سَرَقُسْطَةَ وتُطِيلَةَ ووَشْقَه ، وصرفه إلى الثغر فمات هناك . وأنشد ابنُ حَيّان لعبد الكريم هذا فى رثاء الحكم بنِ هشام وتهنئةِ ولدِه الأميرِ عبدِ الرحمن بن الحكم بالخلافة :

[٣٩-١] /كان الزمانُ مُرَزَّأً بخليفةٍ أوْدَى فكاد نهارُنا أن يُظْلِمَا
حتى إذا قَمَد الإمامُ لبيعةٍ كالغيثِ شَحَّ بوَبْلِه ثم انْهَمَى
لله أية بيعـــةٍ ما أعظما وأجل فخراً فى الأنام وأفخما
أعطتْ قريشٌ بيعةً مرضيَّةً لإمامِها الملكِ الكريمِ المُنْتَمَى
وبدا كمِثلِ البدرِ ينصدعُ الدُّجى عنه ويكشف نورُه ما أبهما
لله أنت أبو المطرف فى الوغى ولخائف ولِمُعْتَفٍ قد أعدما

---

= إلى أن أصله عَرَبَه Araba لأن الاسم لم يظهر إلا بعد دخول العرب . أما القلاع فيراد به المنطقة التى تعرف اليوم بقشتالة القديمة Castilla ia Vieja ، سماها العرب كذلك لكثرة قلاعها ، وقد يكون العرب ترجموا بذلك اسمها القديم Castellae . وألبة اليوم إحدى المديريات الثلاث التى يتكون منها إقليم Vascongadas وهو الذى كان العرب يسمونه بلاد البشكونس ، وهذه المديريات هى Ouipuzcoa وقاعدتها سان سباستيان وبسكاية Vizcaya وقاعدتها بلباو Bilbao و Alava وهى أكبرها مساحة وعاصمتها Vitoria . وكان العرب فى غزواتهم لهذه النواحى يسيرون حتى سرقسطة ، ثم يمضون مع نهر إبره نحو منابعه حتى يفضوا إلى ألبه ثم القلاع ، ولهذا يذكر الإقليمان معاً .

(١) فى الهامش إلى يمين هذا السطر بخط مخالف : عيسى بن أحمد الرازى .

# ٥١ — هاشم[١] بن عبد العزيز
## الوزير ، أبو خالد

هو أخو القاضى أسلم بن عبد العزيز وكبيره ، ووَلاء سَلَفِهما لعثمان بن عفان رضى الله عنه[٢] . وكان هاشم خاصًّا بالأمير محمد بن عبد الرحمن : يؤثره بالوزارة ، ويرشحه مع بنيه — ومفرداً — للقيادة والإمارة . وولاه كورةَ جيّان ، فعلى يده بُنيت أبدة وأكثر معاقلها المنيعة . وهو أحد رجالات الموالى المروانية بالأندلس .

اجتمعت فيه خصال لم تجتمع فى سواه من أهل زمانه ، إلى ما كان عليه من البأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة ، إلى ما له من القديم والبيت والسابقة . فلو لم يُعِنْه سَلَفُه ، لنهضت به أدواته هذه الرفيعة .

ونكَبَه المنذرُ بن محمد لأشهر من خلافته ، بعد أن ولاه الحجابةَ وأظهر عنه الرضا ، وذلك لأشياء حقدها عليه فى خلافة أبيه محمد ، إذ كان يُخرجه معه قائداً للجيش وبعد ذلك[٣] .

---

(١) فى الأصل : هشام ، وهو خطأ .

(٢) ذكر ابن الفرضى نسب هاشم وأخيه أسلم فى ترجمته لهذا الأخير (رقم ٢٧٨ جـ ١/٨٠) : أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن حسن بن جعد بن أسلم بن أبان ابن عمرو مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد كان أسلم من أجلاء فقهاء الأندلس ، سمع من بقى بن مخلد وصحبه زماناً طويلا ، ثم رحل إلى المشرق سنة ٢٦٠ ثم رحل إلى المشرق فلقى الشيوخ ، وعاد إلى قرطبة . وقد تولى قضاء الجماعة فيها مرتين ، توفى فى رجب ٣١٩/يوليو ٩٣١.

(٣) العبارة مقطوعة هنا . وقد أطال ابن حيان الكلام على هاشم بن عبد العزيز فى المقتبس ( مخطوطتنا ، ص ٢٢٥ — ا وما بعدها ) ، ولكنى لم أجد ما يصلح هذه العبارة . وقد وجدت فى المغرب لابن سعيد ( ١/٥٣ و ٢/٩٤ ) عبارة يمكن أن نعيد بها تقويم الكلام هكذا : « إذ كان يخرجه معه قائداً للجيش ، [ فأساء الأدب معه حتى أحقده وأتلف محبته بعد أن صارت السلطنة إليه ] بعد ذلك ، [ فلما مات محمد وولى المنذر قتله المنذر شر قتلة بعد السجن والعذاب ] »

وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازى فى كتاب «الحجّاب للخلفاء بالأندلس» من تأليفه ، أن المنذرَ بن محمد استُخلف يومَ الأحد لثلاث[1] خلوْنَ من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، بعد وفاة أبيه بأربع ليالٍ ، إذ كان غازياً بناحية رَيَّة ، فأغَذَّ السَّيْرَ ودخل القصرَ يومَ الأحد وصلى على أبيه — وكانت وفاته ليلة الخميس لليلةٍ بقيت من صفر — ودُفن . وبويع للمنذر بقيةَ الأحد ويوم الاثنين بعده ، واستحجب هاشم بن عبد العزيز / إلى أن قتله . [٣٩ - ظ]

قال : ولما قدم المنذرُ نزل فى السطح وقعد للبيعة فى ثياب سفره ، وربما اتكأ على فراشه لما كان أخذه من النصَب وألم السفر لطيِّه المراحل . فلما دخل الناس قام هاشم و بيده كتاب البيعة فافتتح قراءته ، فلما بلغ إلى ذكر الإمام محمد خنقته العبرة ، فلم يبن كلامه . ثم استدرك أمره ورجع من أول الكتاب ، حتى إذا انتهى إلى الموضع الذى انتهى إليه أولا أخذه أيضاً الحصر ، فلحظه المنذر لحظة منكرة ، ورآها منه هاشم فمضى فى قراءة الكتاب حتى أكمله . فلم يشك كل من رأى تلك اللحظة أنه قاتله . قال : ولما وُضع نعش الإمام محمد على قبره ، ألقى هاشم رداءه وقلنسوته ودخل القبر وبكى بكاءً شديداً ، ثم قال متمثلا وهو يقبر :

أعَزِّى يا محمدُ عنك نفسى معاذَ الله والمِنن الجِسامِ
فهلا مات قوم لم يموتوا ودُوفِع عنك لى كاسُ الحمامِ

فكان ذلك مما أوقد عليه موجدة المنذر ؛ والبيتان لأبى نواس الحسن ابن هانئ يقولهما فى محمد الأمين حين قُتل .

قال الرازى : وذُكر أن محمد بن جَهْوَر وعبد الملك بن أمية كانا يرفعان عليه ويغريان به ، وأنه خرج توقيع بخط يد الإمام المنذر فيه وَهْم ، فتنفس هاشم

---

(١) عند ابن عذارى (٢/١٣٣) : لثمان .

فرفع عنه . قال : وحدَّث مَن كان [ حاضراً عند ][1] هاشم — يعنى يوم القبض عليه — إذ أقبل صاحب الرسائل مستحثًّا له ، فخرج هاشم ومعه عُمر ابنه فقبضَ منه كتباً كانت بيده . وكان فى رحبة داره قوم من أهل لَبْلَة قد أنوا لشكر ابن أخيه — وكان عاملَهم — فلما خرج هاشم اندفعوا مستهلين بالشكر ، فانتهرهم الفتى الذى أنى فيه وخرج عليهم[2] وأغلظ لهم وقال لهم : « يا كَذَبَة ! » . قال : فرأيت هاشماً قد اربدَّ وجهُه ، غير أنه لم يُقَارِضْه بكلمة ، ومضى .

وكان تحته فرس رائع أشقر ، فلما أتى عند باب الجِنان[3] كبا الفرسُ بهاشم فاستُقل[4] به ووقف [ و ] قد امتقع لونه ساعة ، ثم تقدم ودخل . قال : فلم ينفَضَّ أهلُ موكبه حتى خرج راجلاً مكبَّلا ، فوالله ما رأيتُ يوماً أكثرَ باكياً من ذلك اليوم ، ولو قلتُ إنه / لم تخلُ دارٌ بقُرْطُبَة من بكاء على هاشم [ ٤٠-١ ] يومَ حُبس لما أبْعَدْتُ ولصدقتُ ، فإنه كان رَحْمَـــةً مبسوطة للعامة والخاصة[5] .

قال : وأمر المن[ذر] بحبس أكابر أولاده ، [ غي]ر[6] فإنه كان عيناً

---

( ١ ) بياض فى الأصل ، أكملناه للسياق .

( ٢ ) الأصل : حرج . وخرج على : بمعنى سب وشتم ، وهو استعمال يرد كثيراً عند ابن حيان بهذا المعنى .

( ٣ ) باب معروف من أبواب قصر الإمارة بقرطبة ، وكان باباً خلفياً يفضى إلى حدائق القصر ، والغالب أنه كان يقع على ضفة الوادى الكبير .

( ٤ ) الأصل : وكبحه . وقد صوبها دوزى : وكبَّه ، وهو تصويب صحيح . وقد تركت الضمة فوق تاء استقل كما هى فى الأصل .

( ٥ ) وردت هذه العبارة مضطربة فى الأصل ، وبعضها فى الهامش على اليمين ، فقومناها كما فى المتن .

( ٦ ) ورد هذا اللفظ فى الأصل : غب . وقد أكملته على هذا النحو كما يقتضيه السياق . وواضح أنه سقط اسم ذلك الولد من أولاد هاشم بن عبد العزيز الذى كان عيناً للمنذر عليه . ولم اجد فيما بين يدىّ من المراجع ما أسد به هذا النقص ، ولو أننى أستبعد أن يكون هذا الجاسوس ابناً مباشراً لهاشم بن عبد العزيز ، لأنه لو كان كذلك لما فات أصحاب الكتب التى بين=

للمنذر عليه ، يخاطبه بأسراره وجميع أخباره ، ولم يزل عبدُ الملك بن أمية يغرى به[1] ويرفع عليه ويستعين بالسيدة أخت المنذر فى مطالبته ، حتى كان من ضربه وهدم داره وإخراجه منها وقتله ما كان .

قال : وأُخرج هاشم صبيحةَ الليلة التى قُتل فيها — ليلةَ الأحد لأربع بقين من شوال سنة ثلاث وسبعين — غُطيت[2] جثتُه ورأسه بثوب ، وبُعث به إلى أهله . وكان مولدُه فى أيام الأمير عبد الرحمن بن الحَكم . ومن شعره ، وكتب به من محبسه إلى جاريته « عاج » :

وإنى عَدَانى أن أزورَكِ مطبقٌ ... وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضبَّبُ
فإن تعجَبى يا « عاجُ » مما أصابنى ... ففى رَيْبِ هذا الدهر ما يتعجبُ
وفى النفسِ أشيا أبيتُ بغمِّها ... كأنى على جمر الغضى أتقلبُ
تركت رشادَ الأمر إذ كنتُ قادراً ... عليه فلاقيتُ الذى كنتُ أرهبُ

---

= أيدينا ( وكلها مختصرات عدا مخطوطة ابن حيان ) الإشارة إلى هذه الغريبة . فابن عذارى يقول : « ثم بعث فيه الأمير ليلا ، فقتله وسجن أولاده وحاشيته ، وانتهب ماله وهدم داره ، وألقى أولاده فى السجن ، وألزمهم غرم ٢٠٠٠٠٠ دينار ، فلم يزالوا فى السجن والغُرم إلى موت المنذر وولاية أخيه عبد الله ، ثم أطلقهم عبد الله ، وصرف عليهم ضياعهم ، وولى أحدهم الوزارة والقيادة » ( البيان : ٢/١١٦ )

( ١ ) العداوة بين عبد الملك بن عبد الله بن أمية وهاشم بن عبد العزيز عداوة قديمة ترجع إلى أول ولاية ابن أمية الكتابة العليا للأمير محمد ، وكانت خطة كبرى تجعل صاحبها فى عداد الوزراء ، وكان يتولاها قبله حامد بن محمد الزجالى ، وكان عبد الملك بن أمية غير مؤهل لصنعة الكتابة ، فهاجمه هاشم بن عبد العزيز من هذه الناحية ، ومضى ينتقصه ، فنبهه الأمير محمد إلى سوء تصرفه فتوقف حيناً عن مهاجمة عبد الملك بن أمية . وقد صارح ابنُ أمية الأميرَ بأنه لا يجيد الكتابة ، فأبقاه الأمير فيها رغم ذلك ووعده بأن يمده بمن يعينه فيها . ثم عاد هاشم إلى تنقص عبد الملك ونقده ، واشتدت العداوة بينهما . وقد ظلت الغلبة لهاشم ما عاش الأمير محمد ، فلما مات وخلفه ابنه المنذر أمكنت الفرصة لعبد الملك بن أمية فى هاشم ، فلم يتوان فى الانتقام ( ابن حيان ، مخطوط ، ص ٢٢٤ ب ، ١٢٢٥ )

( ٢ ) الأصل : وغطيت .

وكم قائلٍ قال : انجُ ويحَك سالماً ... ففى الأرض عنهم مُستَرادٌ ومذهبُ
فقلت له : إن الفرار مَذَلَّةٌ ... ونفسى على الأسواء أحلَى وأطيبُ
سأرضى بحكم الله فيما يَنُوبُنى ... وما مِن قضاء الله للمرء مهربُ
فمن يكُ مسروراً بحالى فإنهُ[1] ... سينْهَل فى كاسى وشيكاً ويشرب

وله ، وكتب به إلى وليد بن غانم[2] الوزير فى أسره أثناء مخاطبة :

فكم غصةٍ بالدمع نهنهتُ خوفَ أنْ ... يُسَرَّ بما أبديه شنآنُ كاشحُ
تحاملتُ عنه ثم نادمتُ فى الدُّجَى ... نجومَ الثريا والدموعُ سوافحُ

وله مما قاله بديهاً ، ووقّع بذلك على ظهر رقعة لأحد أبنائه خاطبه فيها بشعر ضعيف :

لا تقلْ — إن عزمتَ — إلا قريضاً ... رائقاً لفظُه ، ثقيفاً رصينا

---

(١) فى البيان لابن عذارى (٢/١١٦) :

* فن يك أمسى شامتاً بى فإنه *

(٢) وليد بن عبد الرحمن بن غانم من أجل وزراء الأمير محمد وأقدرهم وأعظمهم مروءة وأكثرهم ثقافة وعلما . كانت أول الوظائف الكبيرة التى وليها وظيفة « صاحب المدينة » ولاه إياها الأمير محمد ، ثم استعفى منها لخلاف فى الرأى مع الأمير محمد حول مسألة تتصل بالإدارة والمال ، ثم ثبتت صحة رأيه ، فعاد الأمير محمد واستدعاه ليشغل وظيفة صاحب المدينة كما كان ، فأبى ، وظل معتزلا إلى أن رفعه محمد إلى مرتبة الوزارة . وكان وليد صديقاً لهاشم بن عبد العزيز ، فلما وقع هاشم أسيراً فى غزوة خرج إليها تحت قيادة المنذر بن محمد ولىّ العهد للقضاء على ابن مروان الجليقى غضب الأمير محمد إذ رأى فى وقوع هذا الوزير القائد الأثير إليه مهانة للدولة ، فجعل « يلومه ويستقصره ويحمل عليه وينال منه » ولم يبق فى المجلس من لم يحمل على هاشم ، إلا وليد بن غانم فقد تصدى للدفاع والاعتذار عنه ، فأعجبت هذه الشهامة الأمير محمداً . وفى سنة ٢٦٣ خرج وليد فى الغزاة تحت إمرة الأمير المنذر لقتال ابن مروان الجليقى وكان هاشم فى أسره . وقد أطلق ابن مروان أسر هاشم سنة ٢٦٤ .

ابن حيان ، المخطوط : ٢٣٢ ا ، ب . ابن عذارى ، البيان : ٢/١٠٢ — ١٠٣ .

[٤٠ ـ ب] /أو دع الشعر ، فهو خير من الغـــث ، إذا لم تجد مقالا سمينا

وما أحسن قول عبد الجبار بن حميدس الصقلى فى هذا المعنى :

حرر لمعناك لفظاً كى تزان بهِ وقل من الشعر سحراً ، أو فلا تَقُلِ
فالكحل لا يفتن الأبصار منظرُهُ حتى يُصَيِّرَ حَشْوَ الأعينِ النُّجُلِ

ولهاشم فى إلْبيرة يذم وروده عليها ، وهى مكان أوليته :

إذا نحن رُحْنا عنك يا شرَّ بلدةٍ فلا سُقيتْ رباكِ صوبَ الرواعدِ[1]
ولا زال سوطٌ من عذاب مُنَزَّلٍ على قائم من ساكنيك وقاعدِ

فأجابه فتى من أهلها المتأدبين يعرف بابن وَجِيه :

لقد حُرم التوفيقَ مَن ذم بلدةً يروح بها فى نعمة وفوائدِ
ومن يتمنى سوط خزى منزلٍ على قائم من ساكنيها وقاعدِ
فإن كنتم لم تحمدوا ما اختبرتمُ فكلٌّ لكلٍّ لائم غير حامدِ

## ٥٢ — ابنه عمر بن هاشم

سجنه الأمير المنذر بن محمد مع إخوته لما نكب أباهم ، ثم أمر بصلبهم فى الغزاة التى توفى فيها ، ووَلىَ أخوه الأمير عبد الله بن محمد فعجل الكتاب بإطلاقهم ، ثم قدم وولَّى عمر هذا كورة جيّان ، وأخاه أحمد بن هاشم الوزارة والقيادة . ومن شعر عمر :

يا خليـــلاَّ فضلُه با دٍ على كلِّ خليلِ
والمجيد الشعرَ فى كـ ـلِّ بسيطٍ وطويلِ

(١) كذا عند ابن حيان وابن الأبار ، وفى البيت زحاف ظاهر .

بضروب الضرب والإيـ ـقاع والقول الأصيلِ
لا تلمنى واصفحنْ عَنِّ (م) ى وسَهِّلْ لى سبيلى
فى خلاصى [ ... ... ] [ ... ... ] العذر الجميل[1]

## ٥٣ ــ تَمّام بن عامر الثقفى
## الوزير ، أبو غالب

هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة[2] ، مولى عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى ؛ وأم الحكم بنت أبى سفيان بن حرب أخت معاوية ابن أبى سفيان ، / عُرف بها ابنه لشرفها . [٤١ - ا]

ودخل تمام بن علقمة أبو غالب الأندلس فى طالعة بَلْج ، وهو أحد النقباء القائمين بدولة عبد الرحمن بن معاوية ، ووَلى له الحجابة والقيادة . وهو افتتح طُلَيْطِلَة عنوةً مع بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، ثم وَلِىَ وَشْقَة وطُرْطُوشة وطَرَسُونة ؛ وعمّر طويلاً وتُوفى فى آخر دولة الحكم الرَّبَضِىّ .

وقد وُلد تمام بن عامر هذا [ سنة أربع وثمانين ومائة][3] ، وكان غالب بن تمام

---

(١) الأصل : العذار الجميل . وقد جعلها دوزى ( ص ٧٧ ) : الجهل الجميل .

(٢) ذكر ابن حيان نقلا عن « كتاب القاضى أبى الوليد بن الفرضى المؤلف فى الأدباء » نسبه الكامل ، قال : « هو تمام بن أحمد بن عامر بن غالب بن تمام بن علقمة مولى عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى »

(٣) أكملت العبارة بهذا للسياق ، وسيذكر ابن الأبار نفسه تاريخ مولده فى آخر ترجمته ، ولكن إذا حسبنا هذا التاريخ على أساس تاريخ وفاته وعمره بحسب مايذكره ابن الأبار ، لكان ميلاده سنة ١٩٧ هـ .

والياً على طُلَيْطِلَة ، وقتله سليمانُ بن عبد الرحمن بن معاوية وصلبه ومثّل به فى انتزائه على أخيه هشام بن عبد الرحمن الأمير بعد أبيهما .

ووَلِىَ تمام بن عامر خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله ، فانتظمت وزارته لثلاثة من الخلفاء . وعُمِّر عمراً طويلا زائداً على عمر جده الأكبر ، وكانت وفاته فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقد بلغ ستًّا وتسعين سنة . وله الأرجوزة المشهورة فى ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها والخلفاء فيها ووصف حروبها ، من وقت دخول طارق بن زياد مُفتتِحِها إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم .

وكان عالماً أديباً ، ذكر ذلك ابن حَيّان . وقال أبو بكر الرازى : وَلد عامر ابن أحمد تمّاماً ؛ وَلِىَ الوزارة والخيل والقيادة ، وتوفى سنة ثلاث وثمانين — يعنى ومائتين — ومولده سنة أربع وتسعين ومائة . ومن شعره :

يُكلفنى العُذالُ صبراً على التى[1] أبَى الصبرُ عنها أن يَحلَّ محلَّها
إذا ما قرعتُ[2] النفس يوماً فأبصرتْ سبيل الهدى عاد الهوى فأضلَّها
وكم مِن عزيزِ النفسِ لم يَلْقَ ذِلَّةً أقادَ الهوى مِن نفسِه فأذلَّها
عجبتُ لمذولٍ[3] على حبِّ نفسِه يكلِّفُه عُذّالُه أن يَمَلَّها

---

(٢) الأصل : إنى ، وقد جعلها دوزى (ص ٧٨) : أنسى ، والتصويب من ابن حيان . وقد قال تمام هذا الشعر فى زوجته أم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية ، قال ابن حيان : « فجاء من نسلها الوزير الكاتب عيسى بن فُطَيْس ، فتمّام جده لأمه . وكانت أم الوليد بارعة الجمال سبّاءة للألباب ، فرآها تمام فعلِقها وهام فيها ، فانقاد لهواه فى نكاحها ، فكان أعداؤه يعيبونه بها ، ومن قوله فيها لما عُذل فى نكاحها . . » ثم أورد الأبيات الواردة فى متن ابن الأبار .

(٣) ابن حيان : وزعت .

(٤) الأصل : لمعذور ، والتصويب لدوزى ، ص ٧٨ . وقد جعل ابن حيان هذا البيت :

عجبت لمشغوف على الحب نفسه يكلفه عذاله أن يسلها

# ٥٤ — منصور بن محمد بن أبي البهلول

دخل الأندلس جدُّه أبو البهلول — واسمه منصور بن صَدَقة — فى أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية فاستعمله ، وكان يُكَنِّيه لِسِنِّه وفضله ؛ ثم تصرف ابنه محمد للأمير الحَكم فى بعض أشغاله ؛ وحجب منصور هذا مَسْلمةَ[١] بن عبد الرحمن بن الحَكم / فى الكور المجندة[٢] دهراً ، ثم ولىَ العَرض[٣] [٤١ - ب] للأميرين محمد وابنه المنذر بن محمد ؛ ذكره الرازى ، قال : وكان فيه تصرف ورواية غزيرة وشعر حسن يمدح به الخلفاء ، وأنشد له :

كما أن خير العالمين محمدٌ  براحته عين من الجود تنبعُ

وله :

بمحمدٍ حُمِدَ الزمان كما  بفِعالِه قد أحْسِنَ[٤] الذكْرُ

---

(١) الأصل : سلمة ، وكذلك عند دوزى ( ص ٧٨ ) ، وقد صوبت الاسم من قائمة أسماء أبناء عبد الرحمن عند ابن حيان ( مخطوط ص ١٢ ) .

(٢) هذا التعبير غير واضح لى ، لأن الكور المجندة هى الكور التى أنزل فيها جند العرب على أيام أبى الخطار الحسام بن ضرار الكلبى كما هو واضح فى ترجمته وفى أصول أخرى ، وقد عالجنا هذا الموضوع فى « فجر الأندلس » . ولكن : كيف يحجب رجل لمسلمة بن عبد الرحمن الأوسط فى هذه الكور؟ ربما جاز تفسيره على أنه كانت هناك إدارة خاصة للكور المجندة ، أى خاصة بما ينبغى على كل منها من جند وأرزاقهم وحقوقهم وما إلى ذلك ، تولاها أيام عبد الرحمن ابنه مسلمة ، وكان منصور هذا حاجبه فى هذه الإدارة ، وحاجبه هنا تعنى شيئاً مثل مدير مكتبه فى تعبيرنا الحديث . فإذا صدق هذا الفرض كانت وظيفة إداريةً كبيرة ، لأن الكور المجندة كانت تقدم لجيش الإمارة معظم جنده العربى .

(٣) العرض وظيفة من وظائف التنظيم العسكرى ، وهى استعراض الجنود المقيدين فى الديوان فى أوقات منتظمة للتأكد من وجودهم والتثبت من سلاحهم وخيل الفرسان منهم وحالتها وما إلى ذلك . وتسمى أيضاً الاعتراض والتمييز . وكان العرض يجرى فى ميدان كبير خارج العاصمة ، وفى صبيحته ينادى ببوق جهير ليحضر الجند .

(٤) فى الأصل : حَسُنَ مشكولة هكذا ، ولا يستقيم بها الوزن .

أيامُه بِيضٌ مهـــذبةٌ لولا مكارمُه انقضى الدهرُ

وله :

كَمْ ، إلى كَمْ أتسَلَّى ؟ ليس لى صبرٌ . . أجل ، لا !
بأبى أنت وأمى وترى قتـــلى حِلاّ ؟
حاشَ لله بأن أســلو عن الحب وكلاّ

## ٥٥ — عبيد الله بن محمد بن الغَمر بن أبى عبدة الوزير ، أبو عثمان[١]

تصرَّف للأمير عبد الله بن محمد فى الكُوَر وحجابة الأولاد والمدينة والخيل والقيادة ، ثم فى الكتابة الخاصة والوزارة . وكان — مع افتنانه فى الأدب واتِّصافه بالبلاغة — ذا بأس وغَناء فى الحروب ، وكانت له فتوح جمة ومَقَاوِم[٢]

(١) استكثر الأمير عبد الله بن محمد من الوزراء أول عهده حتى بلغوا فى بعض الأوقات ثلاثة عشر وزيراً ، ثم تناقص عددهم حتى أصبحوا أربعة عند موته . أما الحجابة فقد استغنى عنها أخريات أيامه مكتفياً ببدر بن أحمد الخصى الصقلبى وصيفه « اللصيق بنفسه ، الخفيف عليه » كما يقول ابن حيان (ص ٤ من الجزء الذى نشره الأب ملشور أنطونيا) . قال ابن حيان (ص ٥ من ذلك الجزء) : « ومن الغريب أن اجتمع فى بيت الوزارة فى أيامه أربعة رجال من وزرائه — أى وزراء الأمير عبد الله — أقارب من بيت واحد من صميم الموالى آل أبى عبدة حسان بن مالك ، هم :

أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبى عبدة (صاحب الترجمة) .
وأبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن أبى عبدة .
وسلم بن على بن أبى عبدة .
وعبد الرحمن بن حمدون بن أبى عبدة المعروف بِدُحَيم » .

(٢) هذه الصيغة — جمعاً لمقام — غريبة من ابن الأبار ، وقد أخذها عن ابن حيان .

محمودة . وتوفى خاملا بتحامل بَدْرٍ الوصيف[1] عليه بعد أن استأذن للحج ، فأدى فرضَه وكرَّ إلى قُرْطُبَة فلزم داره ؛ وسيأتى ذكر هذا مع نسبه مستوفًى عند ذكر ابنيه جهور الوزير ومحمد . وفيه يقول العُتْبى الشاعر[2] ، وقد اعتلّ وهو يَلى الكتابة :

لَأَيْنَعَ العِيُّ مُذْ أصبحتَ مرتدياً ثوبَ السقامِ وجفَّتْ زهرةُ الكَلِمِ
واستوحشَ الطِّرسُ مِن أُنسِ البديعِ إذا نشبتَ فيه وطالتْ عُجمةُ القلمِ

ومن شعر عبيد الله :

صدودٌ ليس يبلغُه عقـــابُ وعتبٌ ليس يثنيه عتـــابُ
وإبعادٌ — بلا ذنبٍ — طويلٌ وإعراضٌ وهجرٌ واجتنابُ
فلا سَهَرٌ يَطيبُ ولا رُقادٌ ولا طَعمٌ يَسُوغُ ولا شَرابُ
/ فجسمى ناحلٌ والجَفْنُ منى قريحٌ ، والفؤاد له اضطرابُ [٤٢-١]
وموتٌ عاجلٌ أحلى وأشهى إلىَّ من أن يطاولنى العذابُ

## ٥٦ — سَوّار بن حَمْدون القيسى المحاربى

من محارب بن خَصَفَة بن قيس عَيْلان . ثار بناحية البَرَاجِلة من كورة إلْبيرة فى سنة ست وسبعين ومائتين ، وهى السنة الثانية من ولاية الأمير عبد الله

(١) ذكرنا اسمه الكامل فى التعليق الذى قبل السابق ، وقد أورد ابن حيان فى سيرة الأمير عبد الله ما يدل على ذكاء بدر هذا وحسن رأيه ، فهو صاحب الفضل فى استئلاف بنى الحجاج الثائرين فى إشبيلية وكسبهم إلى جانب الأمير عبد الله .

(٢) محمد بن عبد العزيز العتبى ، نقل ابن سعيد من « المسهب » أنه كان من نبهاء شعراء دولة الأمير محمد ، وكان مخصوصاً بالقاسم ابنه ، كما كان مؤمن بن سعيد مخصوصاً بسلمة ابن الأمير محمد ( المغرب ، ١/١٣٤ ) .

ابن محمد ، وانضوت إليه بيوتات العرب من إلْبيرة وجَيّان وريّة وغيرها ، عند ما تميّزت الأحزاب[١] بالعصبية وشبّوا نار الفتنة . وكان مبتدأ رئاسة سوّار هذا أنه كان صاحباً ليحيى بن صُقَالة — أول الخارجين بالبراجلة بهذه الدعوة — عن استبصار شديد وحميّة ، فصُبّ على المولّدين والعجم منه ومن أصحابه أعظمُ آفة ، إلى أن أصابوا منه غرة فثاروا به بغتة وقتلوه[٢] . فرأّسَ أصحابُه بعدَه سَوّاراً هذا ، فاشتد به أمرُهم وقام طالباً بثأر صاحبه . وكان شجاعا مِحْرَباً[٣] ، فكثر أتباعُه واشتدت شوكتُه واعتز العربُ بمكانه ، فلفّفَ جموعَها وحمى ذمارها وسعى لإدراك ثارها . وقصد حصناً[٤] اجتمع فيه من المولدين والنصارى نحو من ستة آلاف رجل ، فنازلهم بالعرب حتى قهرهم ، وأخرج نابِلاً[٥] رئيسَهم المقيمَ

---

(١) جعلها دوزى « الأعراب » دون مبرر (ص ٨٠) . والعبارة منقولة بنصها من ابن حيان : « قال عيسى بن أحمد (الرازى) : فى صدر هذه السنة ثار سوار بن حمدون القيسى بناحية البراجلة من كورة إلبيرة ، وقد انضوت إليه بيوتات العرب من كور إلبيرة وجيان وريه وغيرها عندما تميزت الأحزاب بالعصبية وشبوا نار الفتنة . . » . وقد أراد دوزى بهذا أن يلقى تبعة هذه الفتنة الكبرى — التى شغلت كل أيام الأمير عبد الله وجزءاً من أيام عبد الرحمن الناصر — على العرب ، وهو غير صحيح كما يتضح من البيان الشافى الذى يقدمه ابن حيان عن هذه الفتنة فى الجزء الذى نشره ملشور أنطونيا .

(٢) كان يحيى بن صُقالة القيسى قد « وادع أهل حاضرة إلبيرة الذين دعوتهم للمولدين والمسالمة وعقد بينه وبينهم أماناً مؤكداً ، حلفوا عليه أيماناً مغلظة توثق بها منهم ، واطمأن إليهم فجعل يأتى حاضرتهم ينزل فيها ويقيم الأيام ، وهم يرصدون منه غرة فى بعض قدماته إليهم ، فثاروا به بغتة وقتلوه ، فرأّس أصحابُه سواراً » . ابن حيان ، المقتبس (تحقيق ملشور أنطونيا) ص ٥٥ .

(٣) مِحْرب مصطلح يستعمله ابن الأبار كثيراً ، ويريد به الكثير الحرب . وقد ورد اللفظ عند ابن حيان (ص ٥٥) : محارباً .

(٤) هو حصن منت شاقر Monte Sacro على الجبل الذى يحمل نفس الاسم ، وهو مطل على سهل غرناطة .

(٥) الأصل نائل ، والتصحيح من ابن حيان (المقتبس ، ص ٥٥) . كان زعيماً من زعماء المولدين الذين قاموا على العرب فى كورة إلبيرة . وقد كانت أول حرب نابل مع يحيى بن صقالة ، فغلبه على حصن منت شاقر وانتزعه منه ، فاسترده سوار .

فيه عنه ومَلَكَه . وكان نابِلٌ قد انتزعه من يحيى بن صُقالة ، فاسترده سَوّار إلى مُلكه .

ثم افتتح حصون المسالمة والنصارى حصناً حصناً ، وقتل من ظفر به وغنم أموالهم . ولقيه جَعْد بن عبد الغافر — عامل الأمير عبد الله — فهزمه سَوّار وقتل من أصحـــابه نحواً من سبعة آلاف ، وأسر جعداً فمنّ عليه وأطلقه وأبلغه وأمنه[1] .

وغلظ أمرُه فاستبق حينئذ إلى حصن غرناطة بالقرب من مدينة إلْبيرة ، وصعد إليه فتبوّأه داراً اجتمعت إليه فيه عرب كورة إلبيرة وكاتبته عربُ النواحى إلى حدود « قلعة رَبَاح » وغيرها ، وكانت دار الداخلين إلى الأندلس من بكر ابن وائل ، فصاروا إلْباً معه على المولدين . وبَجَح[2] سَوّار بما تهيأ له على أعدائه ، وعلتْ هِمَّتُه ، وأمَّلَتْه العربُ ، وعلا فى الناس ذكرُه ، وقال الأشعار الجزلة ، وأكثرَ الفَخارَ بنفسه وقومه . ذكر ذلك ابنُ حَيّان ، وحكى أنه أوقع بأصحاب [٤٢ – ب] / ابن حَفْصُون ثانيةً ، ويقال إن قتلاهم كانوا فيها اثنى عشر ألفاً ، وتُعرف

(١) بعد أن انتصر سوار المحاربى على نابل ومن معه من المولدين والمسالمة استشرى أمره وانطلق يستولى على حصونهم ويقتل من يظفر به منهم ويغنم أمواله ، وكانت نتيجة إسرافه أن أخذ بقية المولدين والمسالمة ينضمون إلى الثورة ، فخاف جعد بن عبد الغافر عامل كورة إلبيرة للأمير عبد الله أن يؤدى ذلك إلى خروج الكورة كلها من يده ، فسار إلى حرب سوار وانضم إليه المولدون ، فانهزم جعد ووقع فى أسر سوار ، ثم أطلق هذا سراحه . وكان جعد من أقدر قواد الأمير عبد الله ، وكذلك كان أخوه أمية ، وقد ظل أمية يقاتل فى سبيل الإمارة القرطبية والجماعة حتى استشهد فى معركة مع بنى الحجاج الخارجين فى إشبيلية فى موقف يفيض حمية ورجولة .

(٢) جعلها دوزى (ص ٨١) : فخم ، ولا محل للتغيير ، لأن الكلمة صحيحة فى موضعها : بجح بمعنى فرح وعظمت نفسه عنده ( اللسان : ٣/٢٢٨ ) .

بـ « وقيعة المدينة »[١] . قال : وقد ذكرها سعيدُ بن جُودِى السعدى صاحب سَوّارٍ والوالى رئاسة العرب بعده فى شعر له ، منه :

ولما رأوْنا راجعين إليهمُ ... تولَّوْا سِراعاً خوفَ وَقْعِ المناصِلِ
فسِرنا إليهمْ والرماحُ تَنوشُهمْ ... كوقع الصياصى تحت رَهْجِ القَساطِلِ
فلم يَبْقَ منهمْ غيرُ عانٍ مُصَفَّدٍ ... يُقادُ أسيراً مُوثَقاً فى السلاسلِ
وآخر منهمْ هاربٌ قد تضايقتْ ... به الأرضُ يهفو من جوًى وبَلابلِ

ومنه :

لقد سَلَّ سَوّارٌ عليكمْ مُهَنَّداً ... يَجُذُّ به الهاماتِ جَذَّ المفاصلِ
به قتلَ اللهُ الذين تحزَّبوا ... علينا وكانوا أهلَ إفكٍ وباطلِ
سما لبنى الحمراء إذ حان حَيْنُهم ... بجمعٍ كمِثل الطَّوْدِ أرعنَ رافلِ
أدرتمْ رحى حربٍ فدارتْ عليكمُ ... لحتفٍ قد أفناكم به اللهُ عاجلِ
لقيتُم لنا ملمومةً مستجيرةً ... تُجيدُ ضراب الهام تحت العواملِ
بها من بنى عدنانَ فتيانُ غارةٍ ... ومن آلِ قحطانٍ كمِثلِ الأجادلِ
يقودهمُ ليثٌ هِزَبْرٌ ضُبَارِمٌ ... مِحَشُّ حروبٍ ماجدٌ غيرُ خاملِ

---

(١) كسب سوار بن حمدون القيسى انتصارين كبيرين ، الأول انتصاره على جعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله على إلبيرة وأهل البيرة الذين يعرفون هنا بأهل الحاضرة ، وقد ذكرنا هذا الانتصار ويسمى بوقيعة جَعْد . والانتصار الثانى كان على أهل إلبيرة أيضاً ، وكان سوار وأصحابه قد احتلوا حصن غرناطة واتخذوه قاعدة لهم فأراد خصومهم من المولدين والمسالمة أن يخرجوهم منه ، وهاجموا الحصن ، ولكن سواراً استطاع الانتصار عليهم وأوقع بهم بعد مقتلة عظيمة ، قال ابن حيان : « فيقال إن قتلاهم فى هذه الوقيعة كانوا اثنى عشر ألفاً ، وهذه هى وقعة سوار الثانية المعروفة بوقعة المدينة » . هذا ، وقد كانت نتيجة شدة سوار أن انضم المولدون والمسالمة فى كور جيان وإلبيرة ورية إلى عمر بن حفصون ، فآل الأمر إلى أن قتل سوار فى إحدى المعارك . ( ابن حيان : المقتبس ، ص ٥٨ – ٦١ ) .

أرومتُهُ مِن خيرِ قَيْسٍ سما بهِ إلى المجد قِدْماً والعلا كل فاضلِ
له سَوْرةٌ قيسيَّةٌ عربيـــةٌ بها ذاد عن دينِ الهُدى كلَّ جاهلِ (١)

وهى طويلة . وقال فى ذلك :

فما كان إلا ساعةً ثم غُودروا كمثل حصيدٍ فوقَ ظهرِ صعيدِ

وقال أيضاً قصيدة أخرى ذكر فيها أمْرَ جعد بن عبد الغافر يخاطب المولدين(٢) :

لم تزالوا تبغونها عِوَجاً حتَّـى وردتمْ للموتِ شرَّ وُرودِ
فاصطلوا حرَّها وحرَّ سيوفٍ تتَلظَّى عليكمُ كالوقودِ
/قد قتلناكمُ بيحيى وما إنْ كان حُكمُ الإلهِ بالمردودِ [٤٣-١]
هِجْتُمُ يا بنى العبيدِ(٣) ليوثاً لم يكونوا عن ثارهم بقُعودِ

(١) أورد القصيدة بكاملها ابن حيان فى المقتبس (تحقيق ملشور أنطونيا ، ص ٥٧ – ٥٨ ) فيما عدا الأبيات الخمسة الأخيرة التى ذكرها ابن الأبار . ويلاحظ أن هذه الأبيات واضحة الوضع ، فإن سواراً لم يكن يذود عن « دين الهدى » وإنما كان يحارب جند إمارة قرطبة الذائدة عن « دين الهدى » ، وكان يحارب المولدين والمسالمة وهم مسلمون ، بل كان عمر بن حفصون إلى ذلك الحين مسلما ، وإنما كان خارجاً عن طاعة الإمارة . وهذا يكفى للدلالة على أنها أضيفت فيما بعد ، أضافها رجل لا يعرف الظروف التى أحاطت بثورة يحيى بن صقالة وخلفه سوار بن حمدون ثم خلفهما سعيد بن جودى ، وكلهم قيسيون .

(٢) قال ابن حيان فى التقديم لهذه الأبيات : « ولسعيد بن جودى فى مديح سوار بن حمدون وذكر وقيعته الأولى بأهل حاضرة إلبيرة وأسره لجعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله وأخذه بثأر يحيى بن صقالة أميرهم قبله قصيدة طويلة منها . . » ( المقتبس ، ص ٥٨ ) .

هذا ، وقد أورد ابن الأبار مختاراً من هذه القصيدة وترتيب الأبيات عنده يختلف عن ترتيبها فى المقتبس ( ص ٥٩ ) ، ولم نر ضرورة للإشارة إلى اختلافات الترتيب فى المرجعين .

(٣) المقتبس : العبود .

وهذه اللفظة هنا تكشف عن حقيقة هذه الفتنة التى جرت على الإمارة الأندلسية وأهلها بلاء عظيماً . فإن أبا الخطار الحسام بن ضرار عندما فرق الجند العربى على الكورالتى عرفت باسم =

جاءكمْ ماجدٌ يقود إليكمْ فتيةً ذادةً كمثل الأسودِ[١]
يطلب الثارَ، ثارَ قومٍ كرامٍ آزروا بالعهود بعدَ العهودِ[٢]
فاستباح الحمراء[٣] لم يبق منهمْ غير عانٍ فى قِدِّه مصفودِ
قد قتلنا منكمْ ألوفاً وما يَعْـ ـدِلُ قَتْلَ الكريمِ قتلُ العبيدِ
فلئن كان قَتْـلُه غَدرةً ما كان بالنِّكْسِ، لا ولا الرِّعديدِ

يريد يحيى بن صمقالة أميرَ العرب القائم على المولدين . وقال يحيى بن أخى

---

= الكور المجندة ، وهى : إلبيرة ورية وجيان وإشبيلية وشذونة وباجة وتدمير ، أنزلهم فيها « على أموال العجم من مال ونَعَم » أى جعلهم سادة هذه الكور ، « وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة » . وقد أسلم أهل هذه الكور شيئاً فشيئاً ، ولم يعودوا أهل ذمة ولا عجما ، ولم يعد من الشريعة أن يؤدوا ثلث أموالهم لأولئك العرب ، ثم إن أعدادهم تكاثرت نتيجة للأمان والاستقرار فى ظل أمراء قرطبة ، وثقلت عليهم تلك الجباية الكبيرة ، ومن ناحية أخرى لم تعد لهذا الوضع ضرورة بعد قيام الإمارة وقيامها بأمر جميع أهل الأندلس ، ولهذا فقد بدأوا يتململون من هذا الوضع ، وناصرتهم الإمارة ورجالها . ولكن العرب المستقرين فى تلك الكور استمسكوا بضرورة الأداء على هذا النحو ، فثار المولدون والمسالمة وأيدهم عمال الإمارة وحاربوا أولئك العرب ، ثم تطور الأمر بعد ذلك واتسع مداه ودخلت فيه عوامل أخرى ، وخاصة بعد أن دخل فى الموضوع عمر بن حفصون.

( ١ ) المقتبس ( ص ٥٩ ) : فتية منهم كمثل الأسود .

( ٢ ) الأصل : أدروا بالعهود قبل العهود . وقد قرأ دوزى : إذ وفوا . وعند ابن حيان : أخذوا بالعهود قبل العهود . وفى مخطوط « الإحاطة » فى أكاديمية التاريخ فى مدريد :

يطلب الثار ابن قوم كرام أخـذوا بالعهـود قبل المهود

وقوله : « أخذوا بالعهود » يؤيد ما قلناه من أن أولئك العرب كانوا يستمسكون بما عاهدهم عليه أبو الخطار.

( ٣ ) الحمراء هنا اختصار « بنى الحمراء » ، وهكذا كان أولئك العرب يسمون أهل البلاد .

يحيى بن صقالة ، من قصيدة طويلة يمدح فيها سَوّاراً ويذكر وقيعة إلْبيرة ويناقض العَبْلىّ[١] شاعر المولدين ، وقيل إنها لسعيد بن جودى[٢] :

لسَوّارٍ على الأعداءِ سيفٌ أبادَ ذوى الغواية فاضمحلُّوا
سقاهم كأسَ حتفٍ بعدَ حتفٍ بها نَهَلَ العبيدُ معاً وعَلُّوا
قتلتَ بواحدٍ سَوّارُ ألفاً وألْفُهمُ بواحدِنا يَقِلُّ
وأكثرُ قتلِنا لهمُ حلالٌ بما ارتكبوه ظلماً واستحلُّوا
فأوردْنا رقابهمُ سيوفاً تَشُبُّ النارُ منها إذ تُسَلُّ
ورِثنا العِزَّ عن آباءِ صِدقٍ وإرثُكمُ بَنى العُبْدانِ ذُلُّ

وأول شعر العبلى[٣] :

قد انقصفت قناتهمُ وذَلُّوا وضعضع[٤] ركن عزهم الأذلُّ

---

(١) الأصل : الصلى ، والتصويب من المقتبس لابن حيان (ص ٦٢ – ٦٣) وهو عبد الرحمن بن أحمد المعروف بالعبلى ، ينسب إلى قرية عبلة التى منها أصله ، وكان شاعر إلبيرة المحامى عن المولدين ، وكان يقابله فى الجانب العربى محمد بن سعيد بن مخارق الأسدى« أسد بنى خزيمة ، شاعر العرب القائم فيها مقام العبلى فى المولدين ، وكان كل منهما يحرض قومه ويناضل عن مذهبه ويصف ما يجرى لقومه على أضدادهم من الوقائع المخزية ، فلهما فى ذلك أشعار كثيرة ، وكل منهما كان بعيد المدى فى فرط العصبية » .

(٢) قيلت هذه الأبيات رداً على قصيدة العبلى ومطلعها :

قد انقصفت قناتهم وذلوا وزعزع ركن عزهم الأذل

وقد أورد ابن حيان الأبيات فى المقتبس (ص ٦٥) وبين روايته ورواية ابن الأبار خلاف .

(٣) الأصل : العبدى ، وهو تصحيف .

(٤) فى المقتبس (ص ٦٤) : وزُعزع .

فما طُلَّت دِماؤُهُمُ لديهم وهاهم عندنا فى « البير » طَلُّ[١]

ومن شعر سَوّار قوله من قصيدة طويلة :

صَرَم الغوانى يا هُنَيْدُ مودتى إذ شابَ مِفْرَقُ لِمَّتى وقَذالى[٢]

[٤٣-ب] / وصَدَدْنَ عنى يا هنيدُ وطالما عَلِقَتْ حِبالُ وِصالِهِنَّ حبالى

وقُتل فى صدر سنة سبع وسبعين ومائتين ، فكان أمده فى رئاسته نحو العام[٣] .

## ٥٧ — سعيد بن جُودى السَّعْدى ، أبو عثمان

هو سعيد بن سليمان بن جودى بن أسباط بن إدريس السعدى ؛ هو من هوازن من جند قِنَّسْرِين .

---

(١) الأصل : ظل دون شكل . وقد تكون : ظِلُّ ، وهى قراءة طيبة تعطى معنى جميلا . وقد جعلناها : طَلُّ متابعة لرواية ابن حيان ، ص ٦٦ .

و « البير » يراد بها « إلبيرة » .

وذكر ابن حيان لمناسبة هذا البيت أنه « لما ظهرت العرب على أهل حاضرة إلبيرة وسجل الأمير عبد الله لأميرهم سعيد بن جودى على الكورة ، فدخل الحاضرة ، وأتاه شاعرهم عبد الله بن أحمد العبلى (كذا ، وقد ذكر قبل ذلك أن اسمه عبد الرحمن) بشعر يمتدحه فيه ، فاستمع له وأمر له بجائزة . ثم ذكّره أحد الحاضرين بشعره الذى قال فيه هذا البيت ، فأمر سعيد بن جودى بعض بنى صقالة بقتله وإلقاء جثته فى « بئر غامضة » ففعل ، فكأنه فهم لفظ « البير » على أنها « البئر » لا ترخيما للفظ إلبيرة .

(٢) صحف دوزى هذا البيت تصحيفاً شديداً أفسد وزنه ومعناه :

صرمن الغـوانى يا هنيد مودتى إذا شاب مفرق لتى وقـــذالى

ثم أضاف حاشية طويلة يفهم منها أنه خلط بين البيت وما قبله ، وواضح أنه من قصيدة أخرى . ومن الغريب أن يعسر عليه هذا البيت مع وضوحه ومع أنه قرأ وفسر ما هو أعسر منه بكثير .

(٣) راجع المقتبس ، ص ٦٠ .

وَلِىَ جدُّه جودى بن أسباط الشرطةَ للأمير الحَكَم الرَّبَضِىّ ، ووَلِىَ أيضاً قضاء بلده إلْبيرة — وقع ذكرُ ذلك فى « المُقْنِع » من تأليف ابن بَطّال فى الأحكام[1] . ولما قُتل سَوّار بن حمدون ذَلَّتِ العربُ بمقتله ، وكَلَّ حَدُّها بما نَزَل فيه ، وكان قد أصيب على يدى بعض أصحاب ابن حَفْصُون[2] . فيقال إن جثتَه مزقها ثكالى نساء المولدين قِطعاً ، وأكله كثير منهن حنقاً عليه ، لما نالهن به المرة بعد المرة من الثكل فى بعولتهن وأهليهن . فنصبت العربُ لإمارتها بعده سعيدَ بن سليمان بن جودى صاحبَه ، وعلّقتْ آمالَها به ، فلم يسُدَّ مكانَه ، ولا بلغ مداه فى السياسة . على أنه كان شجاعاً بطلا وفارساً مِحْرَباً ، قد تصرف مع فروسيته فى فنون العلم ، وتحقق بضروب الأدب ، فاغتدى أديباً نحريراً ، وشاعراً محسناً ، تُعَد له عشرُ خصال تَفرَّد بها فى زمانه لا يُدفع عنها : الجودُ ، والشجاعة ، والفروسية ، والجمال ، والشعر ، والخطابة ، والشدة ، والطعن ، والضرب ، والرماية . وهابَه ابن حفصون هيبةً لم يَهَبْها أحداً ممن مارسه ، إذ لم يَلْقَه قط إلا عَلاَه وهزمه .

ولقد دعاه فى بعض أيامهم إلى المبارزة ، فلم يجبه ابنُ حفصون إليها وحاد عنه . وواجهه يوماً فألقى عليه ذراعه واجتذبه إلى الأرض ، فما نَجّاه منه إلا أصحابُه

---

( ١ ) هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى ، أصله من بطليوس واستقر فى إلبيرة وعاش فيها . ترجم له ابن بشكوال ، وذكر كتاب « المقنع فى أصول الأحكام » وقال إنه لا يستغنى عنه الحكام ، وكان إلى جانب ذلك شاعراً مجيداً ، وقد سمى « العين جودى » لكثرة ماكان يردد فى أشعاره « يا عين جودى » ، وقد انصرف عن الشعر عندما كبرت سنه وتزهد ، وتوفى سنة ٤٠٤ أونحوها .

« الصلة » لابن بشكوال ، رقم ٤٤٠ ص ١٩٦ . فهرست ابن خير ، ص ٢٥٢ .

( ٢ ) قتل سوار على يد حفص بن المرة قائد عمر بن حفصون « الشديد التمرد واللعنة » كما يقول ابن حيان ( ص ٥١ ) وقد قتل حفصٌ هذا سنة ٢٨٠ على يد عبد الملك بن عبد الله ابن أمية قائد الأمير عبد الله ، وقد علق ابن حيان على قتله بقوله : « كبير قواده ولزاز حروبه وخليفته فيما غاب عنه من مساعيه ، فكان وجده عليه حسب مكانه من أثرته » ( ص ١٠٨ ) .

الذين انقضوا على سعيد فتنقّذوا عمر من يده . وله زَرْقَةٌ بعيدة المدى إلى بعض القناطر المعتلية مشهورة النسبة إليه ، لم يقدر أحد بعده ممن يتعاطى الشدة يبلغ إليها — ذكر ذلك أبو مروان بن حَيّان فى تاريخه[1] .

وقال فى موضع آخر : كان ، مع رئاسته وشجاعته ، شاعراً مفلقاً وخطيباً مِصْقَعاً ، فصيح اللسان ، رَبيط الجنان ، جميل الشارة ، حسن الإشارة ، ثبت الأصالة ، واسع الأدب / والمعرفة ، يضرب فى صنعة الشعر بسُهمة وافرة ، [٤٤-١] ويتصرف من سبله بكلّ منيعة[2] . وحَكى أن الأمير عبد الله بن محمد أسْجَل له على كورة إلْبيرة ، لمّا ظهرت العرب على حاضرتها . فاتصل قيامه بأمر العرب ، إلى أن قُتل غيلةً بأيدى بعض أصحابه فى ذى القعدة من سنة أربع وثمانين ومائتين .

قال : وزعموا أن من أقوى الأسباب فى قتله أبياتاً من الشعر قالها فى غمص الأئمة من بنى مروان . منها ، قال لعبد الله :

يا بنى مروانَ جِدُّوا فى الهربْ نَجَمَ الثائرُ من وادى القصبْ
يا بنى مروانَ خَلُّوا مُلْكَنا إنما المُلكُ لأبناء العرب[3]

ورثاه الأسدى شاعر العرب فى ذلك الأوان ، وقال فيه مُقَدَّم بن مُعافى يرثيه :

من ذا الذى يُطعمُ أو يكسو وقد حوى حِلْفَ الندى رَمْسُ ؟
لا اخضرّتِ الأرضُ ولا أورقَ العودُ ولا أشرقتِ الشمسُ

---

(١) روى ذلك ابن حيان وبعضه عن تاريخ عبادة بن ماء السماء . انظر « المقتبس » ، ص ٢٩ — ٣١ .

(٢) كذا فى الأصل ، وكذلك عند ابن حيان : « المقتبس » ، ص ١٢٣ .

(٣) روى هذه الأبيات أيضاً ابن حيان ( المقتبس ، ص ٣٠ ) ولكنه جعل صدر البيت الأول :

* قل لعبد الله يَجْدِدْ فى الهرب *

وأضاف إليها بيتاً ثالثاً :

قربوا الورد المحلى بالذهب واسرجوه ، إن نَجمى قد غَلَبْ

بعد ابن جودىٍّ الذى لن ترى أكرمَ منـــه الجنُّ والإنسُ
دموعُ عينى فى سبيلِ الأسى على ســـــعيدٍ أبداً حَبْسُ

وقام بأمر العرب بعدَه محمد بنُ أضحى بن عبد اللطيف الهمدانى صاحب حصن الحَمَّة ، إلى أن استنزله الناصرُ عبد الرحمن بن محمد . ولسعيد بن جودى شعر كثير ، وقد ذكرنا منه جملة . وسَمع يوماً منشداً ينشد قول أبى قيس بن الأسلت :

قد حَصَّتِ البيضةُ رأسى فما أطعم نوماً غـــيرَ تهجاعِ
أسعى على جُلِّ بنى مالكٍ كل امرئٍ فى شأنه ساعِ[1]

فقال معارضاً له على البديهة :

الدِّرعُ قد صارتْ شعارى فما أبسُطُ حاشاها لتهجاعِ
والسيفُ إن قصَّره صانعٌ طوَّله يومَ الوغى باعى
/ وما كُمَيتى لى بمُسْتَقْصِرٍ[2] إذا دعانى لِلِّقـــا داعِ [٤٤ - ب]
هذا الذى أسعى له جاهداً كل امرئٍ فى شأنه ساعِ

وله فى جارية سمعها بقُرْطُبَة تغنى للأمير عبد الله بن محمد — وذلك فى إمارة أبيه الأمير محمد — فهام بها واشترى جارية سماها باسمها « جيجان » ، فلم يُسْلِه ذلك عنها وهام بها دهراً[3] :

سمعى أبى أن يكون الروحُ فى بدنى فاعتاض قلبى منهُ لوعةَ الحزنِ
أعطيتُ جيجانَ روحى عن تذكرها هـذا ولم أرها يوماً ولم تَرَنِى

(١) وردت هذه الأبيات فى الأغانى ( ١٥ / ١٥٣ ) وقد راجعتها على أصلها هناك وقومتها بمقتضاه .

(٢) فى المقتبس ( ص ١٢٤ ) : بمستصغر .

(٣) روى الحكاية بالتفصيل ابن حيان فى « المقتبس » ( ص ١٢٤ ) ، وقد ورد اسم الجارية عنده « جيحان » . وكلتا صورتى هذا الاسم عند ابن حيان وابن الأبار قلقة يبدو أنها محرفة .

كأننى واسمها والدمعُ منسكبٌ من مقلتى راهبٌ صلى إلى وثنِ[1]

وله فى جارية حُملت إليه من قرطبة ، فلما خلا بها أعرضت عنه ورمت بطرفها إلى الأرض خجلا فقال :

أمائلةَ الألحاظِ عنى إلى الأرضِ أهذا الذى تُبدين ـ ويحَكِ! ـ من بُغضى؟
فإن كان بُغضاً لستُ والله أهلَه ووجهى بذاك اللحظ أولَى من الأرض

وله أيضاً يهزل ويتغزل :

لا شىء أملح من ساقٍ على عنقٍ ومن مناقلةٍ كأساً على طبقِ
ومن مواصلةٍ من بَعدِ مَعْتَبةٍ ومن مراسلةِ الأحبابِ بالحدقِ
جريتُ جرىَ جَموحٍ فى الصِّبا طَلَقاً وما خرجتُ لصرفِ الدهرِ عن طلقِ
ولا انثنيتُ لداعى الموتِ يومَ وغَى كما انثنيتُ وحبل الحبِّ فى عنقى

ومقاصده فى غزله المشوب بشجاعته تشبه مقاصد أبى دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلى ، وكانت له أيضاً رئاسة وثورة .

ولسعيد أيضاً فى جارية جميلة عَرضت له صباحاً فى غلالة حمراء وهو خارج إلى مجلسه ، لتأخذ عليه الطريق وهى تتثنى فى حركتها فقال :

قضيبٌ منَ الريحانِ فى ورقٍ خُضْرِ

ثم أعيته الإجازةُ طولَ نهاره وقد شُغل بها فكرُه ، حتى دخل عليه حاجبُه [٤٥-١] فاستأذن لعُبَيْدِيس / الشاعر الكاتب — وكان ينتابه هو وغيره — فساعةَ دخلَ عليه ناداه سعيد :

قضيبٌ منَ الريحانِ فى ورقٍ خُضْرِ

(١) أورد ابن حيان قبل هذا البيت بيتاً هو :

فقل لجيحان يا سؤلى ويا أملى استَوْصِ خيراً بروح زال عن بدنِ

فأجابه من قبل أن يجلس :

وعهدىَ بالريحانِ فى ورقٍ خُضْرِ

فسُرَّ وأجزلَ صِلته .

وله يرثى :

أمُستنصراً بالصبر قد دُفن الصبرُ مع الحَسَنِ[1] المأمولِ إذ ضمَّه القبرُ

فيالعجباً للقبرِ منه يضمُّهُ وقد كان سهلُ الأرضِ يخشاه والوعرُ

وما مات ذاك الماجدُ القَرمُ وحدهُ بل الجودُ والإقدامُ والباسُ والصبرُ

وإنْ يَكُنِ الشيطانُ زَيَّنَ حَيْرةً لقاتله فى الكُفْرِ ، بل دونَه الكفرُ

فشمسُ الضحى ترجو لفقدان نورهِ وبدرُ الدجى يبكيه والأنجمُ الزهرُ

وله حين أسره عمر بن حفصون ، رأس الفتنة بالأندلس ومضرم نارها وركنُ العصبية للعجم والمولدين ، وذلك قبل إمارة سعيد ورئاسته للعرب :

خليلىَّ صبراً ، راحةُ الحرِّ فى الصبرِ ولا شىء مثلُ الصبرِ فى الكَرْبِ للحُرِّ

فكم من أسيرٍ كان فى القِدِّ[2] مُوثَقاً فأطلقَهُ الرحمٰنُ من حَلَقِ الأسرِ

لئن كنتُ مأخوذاً أسيراً وكنتما فليس على حربٍ ولكنْ على غدرِ

ولو كنتُ أخشى بعضَ ما قد أصابنى حَمَتْنىَ أطرافُ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

فقد علمَ الفتيانُ أنى كَمِيُّها وفارسُها المقدامُ فى ساعةِ الذعرِ

---

(١) لم أعثر على شىء يكشف عن شخصية الحسن هذا ، والغالب أنه من زعماء جماعة يحيى بن صقالة وسوار بن حمدون وسعيد بن جودى .

(٢) جعلها دوزى (ص ٨٧) وملشور أنطونيا (المقتبس ، ص ١٢٦) : القيد ، ولا داعى لذلك فالقد صحيحة فى معنى القيد ، واستعمالها فى الشعر كثير .

ومن هذه القصيدة :

بِهَمِّكِ ألقَى خالقى يومَ موقفى وكربُك أقضى لى من القتل والأسرِ (١)
وإن لم يكن قبرٌ فأحسنُ موطناً من القبر للفتيان حَوْصَلَةُ النَّسْرِ

## ٥٨ — سليمان بن وانسوس
## الوزير ، أبو أيوب

هو سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبد الله وانسوس المكناسى مولى سليمان ابن عبد الملك . أصله من البرابر ، وله فيهم بيت شرف / بالأندلس . وكان جده [٤٥ - ب] أصبغ رئيساً بمارِدَة مطاعاً ، ثار فيها على الأمير الحَكم بن هشام فملكها لنفسه واتصل خلافُه فيها سنين ، وجرت له خطوب كبار فى حالَىْ المعصية والطاعة .

وتمهد ابن ابنه هذا مهاد الطاعة من بعد نزوات سلفه ، وعَلِق حبالَ الخدمة ، فتصرف للسلطان فى أعمال كثيرة ، إلى أن ارتقى الذروة من خطة الوزارة للأمير عبد الله ، وصارت له حظوة . وكان أديباً مُفْتَنًّا ، وشاعراً مطبوعاً ، حسن البيان ، بليغاً ، حصيفاً ، داهياً ؛ وكان فى لحيته كوسجاً (٢) . ومن شعره يغرى

(١) أسقط ابن الأبار هنا بيتين يوضحان المقصود بالبيتين اللذين أتى بهما ، وهما :

فيا ظاعناً أبلغْ سلامى تحيةً إلى والدىَّ الهائمين لدى ذِكرى
وأدِّ إلى عرسى السلام وقل لها عليك تحياتى إلى موقف الحشر

ويفهم من هذين البيتين أنه يخاطب زوجه فى البيتين اللذين أوردهما ابن الأبار.

(٢) الأصل : وكان فى حليته كوسجاً له . والكوسج هو الذى لا شعر على عارضيه ، ولهذا فقد غلب على ظنى أن « حلية » هى « لحية » وهم الناسخ فى كتابتها . وكان سليمان بن وانسوس كوسجاً أى لا شعر على عارضيه ، فى حين أن لحيته كانت طويلة ضخمة وصفها الأمير عبد الله كما رأينا بأنها « هلوفة » . وهذا التعارض بين ضخامة اللحية وانعدام شعر العارضين هو الذى جعل الأمير عبد الله يسخر من لحية سليمان بن وانسوس.

الأميرَ عبد الله بن محمد بجهور بنِ عبد الملك البُخْتِيّ ، وكان قد صُرف عن عمله بكورة إلْبيرة لتَظَلُّم الرعية :

جاء الحمارُ ـ حمارُ المرج ـ محتشياً[1] مما أفاد من الأموال والطُّرَفِ
خلِّ لِبيرةَ قد أوْدَتْ مساكنها بقبح سيرته والعنفِ والسرفِ
فاحمل على العير حملاً يستقلُّ به واترك له سبباً للتِّبن والعلفِ

فلما قرأ الأمير عبد الله أبياته أمر بإدخاله إليه فضحك منه وقال له : « يا سليمان لو زدتنا فى الأبيات لزدنا الحمارَ فى الغُرْم » ، وأمر بإغرامه ثلاثةَ آلاف دينار . وقد تقدم لسليمان هذا خبرٌ مع الأمير عبد الله يدل على شرف ذاته وعلو همته .

## ٥٩ ــ عامر بن عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامى ، أبو مروان

وَلىَ أبوه عامرٌ طليطلةَ ، ثم صرفه عنها عبدُ الرحمن بن الحكم بأخيه عبد الله بنِ كليب . وكان أحد وجوه أصحاب السلطان ، واختص بصحبة هاشم ابن عبد العزيز . وكانت فيه ــ مع أدبه وبلاغته ــ حدة ومعارضة للناس ، وتحكك بالشعراء ، فلم يسلم منهم ؛ وهو القائل فى الاعتذار :

عَظُمَ الخطاء فهل تُقِيلُ يا سيدى ، أو ما تقولُ ؟
أنت العزيز بهفوتى وأنا بها العبد الذليلُ
والله لو أبى استطعـ ـتُ لما بدتْ منى فضولُ
ولما رأى منى الصديـ ـقُ سوى قوامٍ لا يميلُ

(١) روى الحكاية ابن حيان عن أبى الوليد بن الفرضى بتفصيل . وقد ورد هذا اللفظ فيه : محتسبًا وقرأها دوزى ( ص ٨٨ ) : محنشيًا ولا معنى لها ، والصواب ما أثبتناه .

[٤٦-١] /ولسان صدق لا يزو لُ من الصواب ولا يَحُولُ
فأبتْ عليَّ الكاسُ إلْ لاَ أن يُداخَنى الذهولُ[1]

## ٦٠ — عبد الرحمن بن وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد ابن غانم

كان هو وأخوه محمد وأبوهما وليد فى بيت أدب رائع وكتابة وجلالة ، ووَلىَ وليد للأمير محمد بن عبد الرحمن خِطَّتَىْ الوزارة والمدينة ، وقاد جيش الصائفة الذى قدَّم عليه ابنه عبد الرحمن بن محمد ، وكان عدده عظيماً . وولىَ أيضاً محمدُ ابنُ وليد خطةَ المدينة ، وسيأتى ذكرها . وعبد الرحمن هو القائل ( وسَمع عبيدَ الله بن يحيى بن يحيى صاحب مالك وقد سئل عن النعامة ففسرها بطير الماء ) :

ذهب الزمان بصفوة العلماء وبقيتُ فى ظُلَمٍ وفى عمياء
وأتى طغامٌ رُقَّعٌ مِن بعدِهم لا فرقَ بينهمُ وبين الشاء
فإذا سألتَ عن النعامِ أسَدَّهمْ عِلماً ، يفسره بطير الماء

☆ ☆ ☆

---

( ١ ) نقل ابن الأبار هذا عن ابن حيان ، ونقله ابن حيان عن أبى الوليد بن الفرضى ( مخطوط ابن حيان ، ص ٢٢٧ ا و ب ) وقد روى حكايته مع الوزير محمد بن جهور وكيف أمر هذا الأخير بضربه وسجنه ، وكيف حاول الوزير هاشم بن عبد العزيز إنقاذه من يد ابن جهور فلم يستطع ، مما حط من قدره أمام الناس . ولعله يعتذر فى هذه الأبيات للوزير ابن جهور .
انظر أيضًا : « المغرب لابن سعيد » : ١ / ٩٤ - ٩٥ .

وهؤلاء شعراء بنى الأغلب ملوك إفريقية فى هذه المائة ، وفى آخرها انقرض ملكهم حسبما يُذكر بعد :

## ٦١ – زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو محمد

وَلِىَ بعد أخيه أبى العباس عبد الله الجميل[١] سنة إحدى ومائتين . وكان أبوه – إبراهيم بن الأغلب – إذا قدم عليه أحد من الأعراب والعلماء بالعربية والشعراء ، أصحبَهم ابنَه زيادة الله هذا وأمرهم بملازمته ، فكان أفضلَ أهل بيته وأفصحهم لساناً ، وأكثرهم بياناً . وكان يعرب كلامه ولا يلحن ، دون تشادق ولا تقعر ، ويصوغ الشعر الجيد . ولا يُعْلَمَ أحد قبله سُمِّى « زيادة الله » ولا « هبة الله » قبل وَلَدِ إبراهيم بن المهدى[٢] .

ووُلِدِ زيادةُ الله قبلَ هبة الله هذا بنحو من ثلاثين سنة .

وهو الذى بنى جامع القَيْروان بالصخر[٣] والآجر والرخام بعد أن هدمه ، وبنى المحراب كله بالرخام / من أسفله إلى أعلاه ، وهو منقوش بكِتَابٍ وغيرِ [٤٦ – ب] كِتَابٍ ، ويستدير به سَوارٍ حسان ، بعضها مجزعة بأسود ناصعةُ البياض شديدة السواد ، ويقابل المحراب عمودان أحمران ، فيهما تَوْشِية بحمرة صافية

(١) قال ابن عذارى عن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب هذا : « . . وكان من أجل الناس وجهاً وأقبحهم فعلا وأعظمهم ظلماً . . » . وله حكاية مشهورة فى كتب التاريخ المغربى مع صلحاء القيروان ، إذ نصحوه بأن يعدل عن سياسته فأبى ، فدعوا عليه « فيقال إن قرحة خرجت تحت أذنه ، فقتلته فى السادس من دعاء القوم . وقال من حضر غسله أنه لما كشفت عنه ثيابه ، ظُن أنه عبد أسود بعد جماله ، وذلك بسبب سوء فعاله » . توفى فى ذى الحجة ٢٠١/ يونيو ٨١٧.

ولهذا يلقبه ابن الأبار بالجميل .

انظر : البيان المغرب ، ١/٩٥ – ٩٦ .

(٢) وردت هذه العبارة أيضاً عند النويرى : نهاية الأرب ، طبعة جسپار ريمبرو ، ص ١٣٩ .

(٣) الأصل : بالصحن ، وقد صوبناها للسياق .

دون حمرة سائرها ، يقول كلٌّ من رآها من أهل المشرق والمغرب أنه لم ير مثلهما . وقد بذل فيهما صاحب القسطنطينية وزنهما ذهباً فلم يُجِبْه الناظرُ للإسلام فى ذلك[١] .

وأول من بنى هذا الجامع الأشرف عقبة بن نافع الفِهْرى ، وهو الذى اختط مدينه القَيْروان فى سنة ثلاث وخمسين من الهجرة .

فلما وَلىَ حسّان بنُ النُّعْمان الغَسّانى إفريقيةَ هدمه — حاشى المحراب — وبناه بالطوب . فلما وَلىَ يزيد بنُ حاتم إفريقيةَ ، سنة خمس وخمسين ومائة ، هدمه وبناه . فلما وَلىَ زيادةُ الله هذا ، هدمه وبناه مع المحراب كما وُصف وتم بنيانُه سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

وبعد ذلك بعام أو نحوه توفى فى رجب سنة ثلاث وعشرين .

ولأبى إبراهيم أحمد بن محمد — والد إبراهيم بن أحمد السفاك — زيادةٌ فى هذا الجامع كملت سنةَ ثمان وأربعين ومائتين[٢] ، وهى عليها إلى اليوم .

---

(١) يروى أن زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب كان يقول بعد أن فرغ من تجديد الجامع : « ما أبالى ما قَدمتُ عليه يوم القيامة وفى صحيفتى أربع حسنات : بنيانى المسجد الجامع بالقيروان ، وبنيانى قنطرة أم الربيع ، وبنيانى مدينة سوسة ، وتوليتى أحمد بن أبى محرز قاضى إفريقية » — ابن عذارى ، البيان ، ١/١٠٦ .

(٢) تحدث النويرى ( ص ١٥٠ ) بشىء من التفصيل عن تلك الزيادة التى أضافها أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، قال : « ولأبى إبراهيم آثار عظيمة فى المبانى بإفريقية ، فمن ذلك بنيان الماجل الكبير بباب تونس — وهو بمعنى الصهريج عندنا — وزاد فى جامع القيروان النهر والمجنّبات والقبة ، وبنى الماجل الذى بباب أبى الربيع ، والماجل الكبير الذى بالقصر القديم ، وبنى المسجد الجامع بمدينة تونس ، وبنى سور مدينة سوسة ، وكان آخر ما عمل الماجل الذى بالقصر القديم ».

وأبو إبراهيم هذا من أحسن أمراء بنى الأغلب سيرة وأبقاهم أثراً مع أنه كان من أصغر من تولى منهم سناً ، فقد تولى فى الثانية والعشرين — أو الثالثة والعشرين — من عمره ، ولم يحكم غير سبع سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً . وكان موته يوم الثلاثاء ١٤ ذى قعدة سنة ٢٤٩/٢٠ =

ومن شعر زيادة الله — على أنه كان يصنعه ويكتمه — ما يُروى أن المأمون كتب إليه أن يدعو على منابره لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، فأنف من ذلك وأمر بإدخال الرسول عليه — بعد أن تَمَلَّأَ من الشراب ، وحلّ شعره ، ونارٌ عظيمة بين يديه فى كَوانين ، وقد احمرت عيناه — فمال الرسولَ ذلك المنظر ، ثم قال : « قد علم أمير المؤمنين طاعتى له وطاعةَ آبائى لآبائه ، وتقدُّمَ سلفى فى دعوتهم ، ثم يأمرنى الآن بالدعاء لعبدِ خُزَاعة ؟ هذا والله أمر لا يكون أبداً » . ثم مد يده إلى كيس إلى جانبه فيه ألف دينار فدفعه إلى الرسول ليوصله إلى المأمون ، وكانت الدنانير مضروبة باسم إدريس الحسنى ، ليُعْلمه ما هو عليه من فتنة المغرب ومناضلة العلويين ، وكتب جواب الكتاب وهو سكران فى آخره أبيات منها :

أنا النار فى أحجارها مستكنة فإن كنتَ ممن يقدح الزند فاقدحِ
أنا الليث يحمى غِيلَه بزئيرهِ فإن كنتَ كلباً حان موتُك فانبحِ
/أنا البحر فى أمواجه وعُبابِه فإن كنتَ ممن يسبحُ البحرَ فاسبحِ [٤٧-١]

فلما صحا بعث فى طلب الرسول ففاته ، وكتب كتاباً آخر يتلطف فيه ، فوصل الكتاب الأول والثانى ، فأعرضوا عن ذكر الأول وجاوبوه عن الثانى بما أحب . وصدْر البيت الأول من هذه الأبيات وقع فى ما تمثل به المأمون ،

= يناير ٨٦٢ ، أما ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب فقد كان مصابا بشبه جنون جعل منه أكبر سفاك للدماء عرفه تاريخنا ، ولم تقتصر جرائمه على خصومه السياسيين أو من يخشى خطرهم ، بل كان يقتل للذة القتل ، وقد أورد النويرى — نقلا عن أبى إسحاق إبراهيم الرقيق — بياناً مفزعاً ببعض المذابح التى أوقعها بأهل بيته وخدمه حتى لقد قتل ٣٠٠ خادم بسبب منديل ضاع منه ، وقتل ابناً من أبنائه وثمانية من إخوته ، وقتل ١٦ من بناته مرة واحدة . وكان به شذوذ وميل للغلمان ، وكان عنده منهم نيف وستون ، فشك فى أمرهم مرة فقتلهم جميعاً على أبشع صورة ، إلى آخر هذا البيان الأسود . وكان يتلذذ لمنظر القتل ويتفنن فيه ، ومن هنا فإن لقب السفاك الذى سماه به ابن الأبار قليل فى حقه.

إذ قتل ليلاً بالمُطبق إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس المعروف بابن عائشة وأصحابه ، فقال حين فرغ من ذلك :

أنا النار فى أحجارها مستكنة  متى ما يَهِجْها قادحٌ تتضَرَّمُ

حكاه المسعودى .

وكان زيادةُ الله يدعو للمأمون ، وابنُ شَكْلَة[1] — وهو إبراهيم بن المهدى — ببغداد قد ادعى الخلافةَ بعد قتل الأمين ، إلى أن قدم المأمونُ بغدادَ فكاتَبه وشكر له فِعلَه .

وله يخاطب أمَّه « جلاجل » — جارية الليث بن سعد[2] — وقد استفحل أمر الجند فى خلافهم عليه ، واستولوا على إفْرِيقِيَّة كلها ، إثر وقعة على أصحابه شديدة خاف منها على ملكه ، وأيقن بانقطاع مدته ، و بلغ ذلك منه كل مبلغ ، فدخلت عليه أمه تصبِّره وتسهِّل الأمرَ عليه ، ففكر ساعة ثم رفع رأسه وأنشد أبياتاً منها :

أمنتُ سَبِيبةُ كل قَرمٍ باسلٍ  ومن العبيد جاجماً أبطالاَ

فإذا ذكرت مصاباً بسَبِيبةٍ  فابكى جلاجل واندبى إعوالاَ

---

(١) ورد الاسم على هذا الضبط عند المسعودى ، انظر « مروج الذهب » (تحقيق باربيه دى مينارد ، باريس ١٨٧١) : ٦/١٠ .

(٢) سمع إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة من الليث بن سعد قبل أن يلى حكم إفريقية ، ويقال إن الليث وهب له « جلاجل » أم ولده « لمكانه منه » كما يقول ابن عذارى. وزيادة الله الأول هو ثانى ولد من أولاد إبراهيم بن الأغلب يلى الإمارة (ابن عذارى ، البيان ، ١/٩٢) .

ياوَيحَ نفسى حين أركب غادياً ... بالقَيْروانِ تخالنى مختالاَ
فى فتيةٍ مثل النجوم طوالع ... وتخالنى بين النجوم هلالاَ
فاليوم أركب فى الزّعاع ولا أرى ... إلا العبيد ومعشراً أنذالاَ[1]

وله فى النسيب :

باللهِ لا تقطَعَنْ بالهجر أنفاسى ... فأنتَ تملك إنطاقى وإخراسى
صدودُ طَرْفك عن طرفى إذا التقيا ... مُجَرِّعى كأسَ إرغامٍ وإتعاسِ
لو لم أُبِحْكَ حِمَى قلبى تَرُودُ بهِ ... لم تستبحْ مهجتى يا أملحَ الناسِ

/ وله أيضاً فى تفاحة : [٤٧ - ب]

ولابسةٍ ثوبَ اصفرارٍ بلا جسمٍ ... تَنُمُّ بأنفاسِ الحبيبِ لمُشْتَمِّ
تجمَّع معشوقٌ لديها وعاشقٌ ... فذو نظرٍ يرنو إليها وذو شمِّ
سأُفنيكِ أو أُفنَى عليك تذكُّراً ... لمَنْ أنتِ عطرٌ منه فى الرشف واللثمِ
فقد هِجتِ فى قلبى لظًى لتذكرى ... وعنوانُه فى مقلتى دمعةٌ تَهْمِى
كأنى أُدْنى حين أُدنيكِ مَن بهِ ... أثرتِ اشتياق فى عناقٍ وفى ضمِّ

(١) كانت أيام زيادة الله بن الأغلب كلها أيام فتنة واضطراب ، بسبب قلة كفايته وسوء تصرفه مما كان سبباً فى ثورة منصور الطُّنبُذى التى كادت تطيح بدولة بنى الأغلب . وقد كان زيادة الله لهذا فى ضيق وهم دائمين ، وربما كان هذا بعض سبب إسرافه فى الشراب . وتشير أبيات زيادة الله إلى وقيعة سبيبة التى كانت سنة ٢١٠/٨٢٥ - ٨٢٦ ، أوقعها بجند زيادة الله عامر بن نافع صاحب منصور الطنبذى وقسيمه فى الثورة ، وكان يقود جند زيادة الله فيها ابن أخيه محمد بن عبد الله بن الأغلب ، فقتل فى المعركة ، وقد كاد أمر زيادة الله يتلاشى بعدها . قال ابن عذارى : « ولم يبق بيد زيادة الله من إفريقية كلها إلا قابس والساحل ونفزاوة وإطرابلس ، فإنهم تمسكوا بطاعته ، ولم ينقصوه شيئاً من جبايته . وملك منصور جميع عمل زيادة الله ، وضرب السكة باسم نفسه » ( البيان المغرب ، ١/١٠٠ - ١٠١ ) .

# ٦٢ — الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو عِقال ( ويلقب بخزر )

وَلِيَ إفريقية بعد إبراهيم بن الأغلب ثلاثةٌ من أبنائه لصلبه ، أولهم أبو العباس عبد الله : وَلِيَ بعَهد أبيه ، وكان عند وفاته بطرابلس ، فقام أخوه زيادة الله بالأمر فى مغيبه ، وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وسائر الناس ، فكان يتحامل عليه فى ولايته ويتنقصه ، وهو يظهر التجمل والاحتمال[1] ؛ وعوجل فلم تطل مدته ، ولم يوصف بأدب فنذكره . وثانيهم أبو محمد زيادة الله المتقدم الذكر : وهو كان أطولهم ولايةً ، وأمتنهم بعد أبيهم أدبا . وثالثهم أبو عقال الأغلب هذا : وَلِيَ بعد أخيه زيادةِ الله ، وهو كان أقصرهم ولاية ؛ أقام سنتين وتسعة أشهر وأياماً ، غير أن الملوك منهم من عقبه[2] دون أخويه . وكل من وَلِيَ بعده من آل الأغلب — إلى أن انقرض ملكهم وزال سلطانهم — من ولده . وآثاره صالحة : أمَّن الجندَ وأحسن إليهم ، فلم يكن فى أيامه — على قصرها وتقلصها — حروب . وغيَّر مما أحدث العمال كثيراً ، وقبض أيديهم عن أموال الرعية ، وقطع النبيذ من القيروان ؛ فحُمدت سيرته ، وظهرت فضيلته ، وانتشر عدله . وكان له حظ من الأدب يصوغ به مقطعات من الشعر ، فمنها قوله :

---

( ١ ) عندما توفى إبراهيم بن الأغلب فى شوال ١٩٦/ يونيو ٨١٢ كان ابنه وولى عهده عبد الله بطرابلس ، فقام ابنه الثانى زيادة الله بأخذ البيعة على نفسه وأهل بيته ورجال الدولة لأخيه الغائب ، ولما وصل عبد الله إلى القيروان سلم إليه الأمر ، ولكن عبد الله لم يحمد لأخيه هذا الفضل وجعل دأبه التحامل على أخيه وإطلاق لسانه فيه ، فخاف زيادة الله وخرج إلى المشرق . وعندما توفى أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب فى صفر ١٩٧/ أكتوبر ٨١٢ تولى زيادة الله بعده .

( ٢ ) الأصل : غبنه .

له مقلة تكفيه حملَ سلاحِهِ محاربة ألحاظها من تسالُمهْ
سَقى صَبَّه من خمرها فبدا بها كما تفعل الصهباء ما هو كاتمُهْ
وقد سكرتْ أجفانُه فكأنما تُسَقِّيهِ من صهبائها وتنادمهْ

## /٦٣ — ابنه محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو العباس [٤٨ - ١]

وَلِيَ بعد أبيه أبي عقال فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومائتين ، وتوفى يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة ، فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر واثنى عشر يوماً .

وكان كوسَجاً : كان وجهُه وجهَ خَصِيّ ليس فيه إلا شعرات يسيرة ، عقيماً لا يولَد له ، مُوصوفاً بحلم وجود . وحاربه أخوه أحمد فظفر به وأخرجه إلى المشرق ، وكانت فى أيامه حروب كثيرة نُصر فيها . وأما أخوه الثانى — ويسمى أيضاً محمداً ، ويكنى أبا عبد الله — فكان والياً على طرابلس من قبله ، ومات بها فى أيامه سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ؛ ومن ولده أمراء بنى الأغلب الولاة بعد أبى العباس هذا [١] .

---

(١) هذه المعلومات تصحح خطأ كبيراً جارياً فى نسب بنى الأغلب ، فإن كل المؤرخين يتابعون ابن عذارى وابن خلدون والنويرى فى القول بأن أمراء بنى الأغلب بعد أبى العباس محمد بن الأغلب السعدى كانوا من نسله ، وأن أحمد الوالى بعده ابنُه . ولكن ما يذكره ابن الأبار هنا من أن محمداً الأول كان عقيماً لا ولد له ، وأن أحمد الذى جاء بعده هو ابن أخيه — واسمه محمد أيضاً — الذى تولى طرابلس ، يغير الوضع . ولم ينتبه لذلك زامباور فى معجم =

وأبو العباس [هو] القائل يفخر — فى ما نسبه إليه بعض خاصته ، وقيل إنه لعبد الرحمن بن أبى مَسْلمة — قاله على لسانه عند ظفره بخارجٍ عليه :

أليسَ أبى وجدِّى أوطآنى — وجَدُّ أبى وعَمّاىَ — الرقابَا ؟
ورثتُ المُلكَ والسلطانَ عنهمْ فصرتُ أعزَّ مَن وطئَ الترابا
وقدَّمنى الخلائفُ واصطفَوْنى فمَن مثلى قديماً وانتسابا
أنا المَلك الذى أسمو بنفسى فأبلغ بالسموِّ بها السحابا
إذا نَقَّبْتَ عن كرمى ومجدى وجدتَنى المُصاصةَ[1] واللُّبابا
أنا المَلك الذى أيَّدْتُ مُلكى بسيفى إذ كشفتُ به الضبابا
فأمضى إن سَرَدْتُ[2] الجفنَ عنه فأغتصبُ النفوسَ به اغتصابا
لقد فتح المهيمنُ لى بسيفى وإقدامى ، إذا ما الجمعُ هابا
أمتُ به ابنَ حمزةَ[3] حين دبتْ عقاربُ غدره وسعَى نخابا

= الأنساب ، ولا الذين ترجموه إلى العربية ( ١/١٠٥ ) ، بل لم ينتبه لذلك فوندرهايدن الذى ألف كتاباً ضخماً عن الأغالبة بالفرنسية سبق أن أشرنا إليه ( ص ٢١٣ — ٢١٦ ) .

وقد وصف ابن عذارى والنويرى محمداً هذا بالجهل والغباء ، بل أورد ابن عذارى حكاية أيد بها هذا الوصف ، ولكن الحقيقة — كما يتضح من التفاصيل التى يقدمها النويرى — أنه كان من أذكى بنى الأغلب وأشدهم مكراً .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١/١٠٧ — ١١٤ . النويرى ، ١٤٦ — ١٥٠ .

(١) كذا فى الأصل ، على اعتبار أن المُصَاصة العصارة التى تمص . وقد تكون صحة اللفظ : الخلاصة .

(٢) الأصل : أمضى إذا سررت ، ولا يستقيم به الوزن أو المعنى .

(٣) ابن حمزة هو نصر بن حمزة الجَرَوِىّ وزير أبى جعفر أحمد بن أبى عقال الأغلب ابن إبراهيم بن الأغلب ، وأحمد هذا هو أخو أبى العباس محمد المترجم له هنا ، وكان قد ثار عليه بمعاونة صاحبه نصر بن حمزة الجروى وأخيه داوود ، وتمكن من أن يتولى الأمر دون أخيه دون أن يخلعه . وقد تمكن محمد بالحيلة من أن يستعيد سلطانه ويتغلب على أخيه أحمد وأنصاره ، ثم أخرجه مبعداً إلى المشرق ، وقتل نصر بن حمزة الجروى ، وبهذا يفخر هنا . أما داوود بن حمزة الجروى فكان قد انضم إلى محمد نكاية فى أحمد بن الأغلب لأنه فضل أخاه عليه .

أسلتُ به دمَ الأوداج منه فصار لشَيبِ لحيته خضابا[1]
/ أُظِلُّ عشيرتى بجناح عِزّى وأمنحها الكرامةَ والثوابا [٤٨ – ب]
وأصطنعُ الرجال وأصطفيهم[2] وأغفر للمسيء إذا أنابا
وأسمو بالتخميسِ إلى الأعادى فأكسر بالعقاب لها العقابا
أنا ابنُ الحرب ربتنى وليداً إلى أن صرتُ ممتلئاً شبابا
لَعَمْرُ أبيك ما أنْ عِبتُ قومى وما أخشى بقومىَ أن أُعابا
بنيتُ لهم مكارمَ باقياتٍ إذا ما صارت الدنيا خرابا

## ٦٤ – إبراهيم بن أبى إبراهيم أحمد بن أبى عبد الله محمد بن أبى عِقال الأغلب

وهو خَزَر المذكور قبل ابن إبراهيم بن الأغلب ، أبو إسحاق .

وَلىَ بعد أخيه أبى عبد الله محمد بن أحمد ، الذى يُعرف بأبى الغرانيق ، لكثرة ولوعه بتصيدها . وكان محمد هذا قد عقد لابنه أبى عِقال الأغلب ولاية عهده ، واستحلف إبراهيمَ هذا خمسين يميناً بجامع مدينة القَيْرَوان ألا ينازعَه ، وذلك بمحضر مشيخه الأغلب[3] وقضاة القيروان وفقهائها ، فلما هلك أبو الغرانيق

---

(١) ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا :

* فصارت لشيب لحيته خضابا *

ولا يستقيم به الوزن ، وقد قومته على هذا النحو.

(٢) الأصل : أطيبهم .

(٣) فى النويرى : وذلك بحضرة مشائخة بنى الأغلب وقضاة القيروان وفقهائها ( ص ٤٥٣ )

لستٍّ مضين من جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين ، خلع ابنَه أهلُ القيروان وقدموا إبراهيمَ بن أحمد فى قصة طويلة ، فابتلاهم الله بظلمه ، وامتحنهم بإسرافه ، حتى سموه « الفاسق » . وكان أول أمره قد أحسن السيرة فيهم نحواً من سبع سنين ، ثم ارتكب من العدوان وسفك الدماء مالم يرتكبه أحد قبله ، وأخذ فى قتل أصحابه وكتّابه وحجّابه ، حتى إنه قتل ابنه أبا عقال وبناته ؛ والأخبارُ عنه فى ذلك فظيعة شنيعة . وكان كثير المال شديد الحسد ، على اتصافه بالحزم والعزم والضبط للأمور . ولم يكن يوصف بعلم بارع ولا أدب ، وكان ربما صنع من الشعر شيئاً ضعيفاً ، فمن ذلك قوله :

نحن النجوم بنو النجوم ، وجدُّنا قمرُ السماء أبو النجوم تميمُ
والشمسُ جدَّتُنا ، فمن ذا مثلُنا متواصلان : كريمةٌ وكريمُ ؟

[٤٩-١] /وحذْف هذا النظم الغث أولى من إثباته ، ولَيتَه بعقاب أهل بيته عوقب على أبياته . ولم يَلِ إفريقيةَ قبلَه أطولُ عمراً منه فى سلطانها . مَلَكَ تسعاً وعشرين سنة إلا خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ليطول به الابتلاء ؛ والله يفعل ما يشاء .

وحكى أبو عبيد البكرى فى كتاب « المالك والمسالك » من تأليفه أن إبراهيم بن أحمد هو الذى بنى مدينة رَقّادة واتخذها وطنا ، وانتقل إليها من مدينة « القصر القديم » وبنى بها قصوراً عجيبة وجامعاً . ولم تزل بعد ذلك دار مُلك لبنى الأغلب ، إلى أن هرب عنها زيادةُ الله أمام أبى عبد الله الشيعى . وسكنها عبيدُ الله المهدى ، إلى أن انتقل إلى « المهدية » ، فدخلها الوَهَنُ وانتقل عنها ساكنوها . ولم تزل تخرب شيئاً بعد شىء ، إلى أن وَلىَ مَعَدُّ بنُ إسماعيل ، فخرّب ما بقى منها وعفّى آثارها ولم يبق منها غير بساتينها .

قال : وليس بإفريقية أعدل هواء ، ولا أرق نسيماً ، ولا أطيب تربة من مدينة رَقّادة . وذكروا أن أحد بنى الأغلب أُرِقَ وشَرَدَ عنه النوم أياماً ، فعالجه

إسحاق — يعني طيبهم ، وهو الذي ينسب إليه إطريفُل إسحاق[١] — فلم ينم ، فأمره بالخروج والمشي ، فلما وصل إلى موضع رَقّادة نام ، فسميت رَقّادة من يومئذ ، واتُّخذت داراً ومسكناً وموضع فرجة للملك . قال : ولما بناها إبراهيمُ ابن أحمد منع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رَقّادة ، فقال بعض ظرفاء أهل القيروان :

يا سيدَ الناس وابنَ سَيِّدِهِمْ ومَن إليـــه الرِّقَابُ منقاده
ما حَرَّمَ الشُّرْبَ فى مَدينتِنا وهو حلال بأرض رَقّاده ؟

ومع بُعد إبراهيم فى المَلَكة عن الإسجاح ، فقد كان لا يخلُ بنصيبه من السماح . حكى أبو إسحاق الرقيق أن بكر بن حماد التاهَرتى[٢] كان يمتجع هذا الطاغية ويمدحه ، فغدا يوماً بمديح له على « بلاغ » الخادم فقال له : « الأمير عنا مشغول فى هذا اليوم » ، قال : « فالطف بى فى إيصال رقعة إليه » ، قال : « إنه مصطبح فى الجنان مع الجوارى ، ولا يصل إليه أحد » ؛ فكتب بكر فى رقعة ، واحتال « بلاغ » فى / توصيلها مساعدةً له ، وفيها أبيات منها : [٤٩ - ب]

(١) العبارة كلها منقولة عن المسالك والممالك للبكرى (صفة إفريقية ، ص ٢٧ — ٢٨) . والإطريفُل أو الإطريفال — كما جاء فى معجم الكتاب المنصورى المعروف باسم « مفيد العلوم ومبيد الهموم » لابن الحشاء — دواء مركب فيه لا محالة بعض الهليلجات أو كلها ، ويزاد فيه بحسب الحاجة من الأفاويه ، وصوابه بضم الفاء .
وانظر : دوزى ، ملحق القواميس ، ١/٢٨ .

(٢) ترجم له أبو بكر المالكى فى « رياض النفوس » : ٢/١٦ — ١٩ ، وأورد كثيراً من الشعر فى رثاء ابنه وفى الزهد . وقال « سُعى به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير ، فخرج هارباً من القيروان يريد تاهرت بلده ، فلما صار بسَبَاطة خرج عليه قطاع الطريق ، فقتل ولده عبد الرحمن وجرح بجراحات ، فما زال فى بطنه فتق منها إلى أن مات (سنة ٢٩٦/٩٠٨ — ٩٠٩) . وترجم له الدباغ فى « معالم الإيمان » (٢/١٩٢) وذكر أساتذته ورحلته إلى البصرة سنة ٢٢٧ . وقد أضاف الدباغ أن قاسم بن أصبغ أخذ عنه ، وقال إنه كان ثقة عالماً بالحديث ورجاله ، شاعراً فصيحاً .

خُلِقنَ الغوانى للرجال بَلِيةً فهنّ موالينا ونحن عبيدُها
إذا ما أردنَ الوَرْدَ فى غير حينهِ أتتنا به فى كل حين خدودُها

وكتب تحت الأبيات :

فإن تَكُنِ الوسائلُ أعوزتنى فإنّ وسائلى وردُ الخدودِ

فلما قرأها أنشدها الجوارى ، فأظهرن له سروراً بها وشفعن إليه إلى أن خرج بصُرّة مختومة فيها مائة دينار ؛ ووصل منه إلى بكرٍ مالٌ عظيم .

## ٦٥ — ابنه عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو العباس

وَلِىَ بعد أبيه إبراهيم ، وكان شجاعاً بطلا ،[1] ذا بصر بالحروب والتدبير ، عاقلا أديباً عالماً ، له نظر فى الجدل وعناية باللغة والآداب . وكان فى أيام أبيه على خوف شديد منه ، لسوء أخلاقه وقبح أفعاله ، وجرأته على قتل من قَرُب منه أو بعُد ، وكان يُظهر من طاعته والتذلل له أمراً عظيماً . وكان أبوه يوجهه إلى محاربة كثير ممن يخالف عليه ، ويفضله على سائر ولده ، ثم ولاه عهده وصيّر إليه خاتمه ووزارته ، وكتب بذلك كتاباً تاريخه يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائتين .

وفى ذى القعدة منها هلك أبوه إبراهيم بن أحمد ، ومن ذلك الوقت رُمِى

---

(١) لم يصفه بذلك غير ابن الأبار ، بل قال ابن عذارى : إنه أظهر التقشف والجلوس على الأرض وإنصاف المظلوم ، وجالس أهل العلم وشاورهم ، وكان لا يركب إلا إلى الجامع ، فقال قوم : إن أهل النجوم أمروه بذلك ، وقال قوم : « به وسوسة » . ثم ذكر كيف احتاله على ابنه زيادة الله حتى سجنه مع نفر من أصحابه ، فكان هذا حافزاً لزيادة الله على تدبير مقتل أبيه .
ابن عذارى ، ١/١٣٣ — ١٣٤ . النويرى : ١٦٣ — ١٦٤ .

بالنجوم ، فكانت تتناثر كالمطر يميناً وشمالا ، وكانت تؤرخ بسنة النجوم[١] .

ومَلكَ عبدُ الله سنةً واحدة واثنين وخمسين يوماً ، وكانت أيامه — على قصر مدته — أيام عدل وصلاح وحسن سيرة ، إلى أن قُتِل ليلة الأربعاء آخر شعبان سنة تسعين ومائتين : تولى قتلَه ثلاثةٌ من خدمه الصقالبة وهو نائم ، وأتوا برأسه ابنَه زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الأغالبة وهو محبوس من قِبَل أبيه — وكان قد صانعهم على ذلك — فقتلهم وصلبهم .ومن شعر عبد الله فى دواء شربه بصقلية :

[١-٥٠] /شربتُ الدواء على غُربةٍ بعيداً من الأهل والمنزلِ
وكنتُ إذا ما شربتُ الدواءَ تطيَّبتُ بالمِسكِ والمَنْدَلِ
فقد صار شربى بِحارَ الدماء ونقع العَجَاجةِ والقسطلِ

## ٦٦ — ابنه زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو مُضَر

خاتمة ملوك الأغالبة ، عليه انقرض مُلكهم وزال سلطانهم بعبيد الله المهدى أول ملوك الشيعة .

ولما هَزم أبو عبد الله الشيعى — داعية عبيد الله — عسكرَ زيادة الله هذا يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين[٢] ،

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) كانت الأُربُس آخر معاقل زيادة الله الثانى آخر أمراء بنى الأغلب ، فلما سقطت فى يد أبى عبد الله الشيعى أسقط فى يده وقرر الفرار ، ولم يلبث فى القيروان إلا ريثما أخذ ماتيسر من ماله ومتاعه ، « فلما كان وقت صلاة العتمة من ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة [ سنة ٢٩٦ ] ركب فرسه وتقلد سيفه ، وقدم الأحمال تمر بين يديه ، هارباً على عيون أهله وحرمه وولده . . » .

وكانت تلك هى نهاية أمر بنى الأغلب ، على رغم محاولة أخيرة يائسة قام بها إبراهيم بن أبى الأغلب وأبى أهل القيروان أن يؤيدوه فيها فاضطر إلى الفرار لاحقاً بزيادة الله .

ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١/١٤٧ — ١٤٨ .

ودُخلت مدينة الأُرْبُس بالسيف ، وبلغ الخبر زيادةَ الله عند صلاة العصر يوم الأحد بعْده ، فر على وجهه وأسلم البلاد ، ولحق بإطرابلس ميمماً ديار مصر ، وذلك فى خلافة المقتدر بن جعفر بن المعتضد ، فكانت ولايته ست سنين إلا شهرين وأياماً ، أتلف جُلَّها فى اللذات والبطالة ، حتى انتقضت دولته وظفر به عدوه .

وكان فراره من مدينه رَقّادة التى بناها جده إبراهيم بن أحمد ، وأجرى إليها المياه ، واغترس فيها صنوف الثمار الطيبة والرياحين ، وبنى على القصور التى أحدث فيها سوراً ، وأحد هذه القصور يسمى « بغداد » ، وآخر منها يسمى « المختار » ، فصارت أكبر من القيروان ، وبينهما ستة أميال .

فلما وَلى زيادةُ الله هذا ، انتقل إليها وحفر بها حفيراً بناه صهريجاً ، طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع ، وأجرى إليها ساقية وسماه « البحر » ، وبنى فيه قصراً وسماه « العروس » على أربع طبقات أنفق فيه — سوى خَسْر[1] اليهود والعجم — مائتى ألف دينار واثنين وثلاثين ألف دينار .

وكان عبيد الله[2] يقول : « رأيت ثلاثة أشياء بإفريقية لم أر مثلها بالمشرق ، منها هذا القصر » . فبهذا وأمثاله كان اشتغاله ، حتى حالت لأول وهلة حاله ، ليصدق ما قاله أبو الفتح البُسْتِىّ :

إذا غـــدا مَلِكٌ باللهو مشتغلا فاحكم على مُلكه بالويلِ والحَرَبِ

[٥٠ - ب] / وحكى أبو إسحاق الرقيق أنه سأل « مؤنساً » المغنى هل يعلم صوتاً من أصواته لم يسمعه منه ، فقال : « والله يا مولاى ما علمت غير بيت ، وقد أُنسيتُ أوله » ، قال : « هاته » ، فغناه :

---

(١) وردت هكذا مشكولة فى الأصل ، فتركتها كما هى ولو أننى لم أعرف معناها هنا ، وقد تكون صحتها : عُشر اليهود والعجم .

(٢) المراد عبيد الله المهدى أول خلفاء الفاطميين فى إفريقية .

فقد صِرتُ بعد البَيْنِ أقنَعُ بالهجرِ

ثم وجَّه فى صاحب البريد عبد الله بن الصائغ[1] — وكان شاعراً مجيداً — فعرَّفه ما جرى وقال له : « بحياتى إلا زدتَ عليه شيئاً » ، فقال ابنُ الصائغ :

ولى كَبِدٌ لولا الأسى لتصدَّعتْ وقلبٌ أبَى أن يستريح إلى الصبرِ
وقد كنتُ أخشى هجرَهم قبل بَيْنِهم فقد صرتُ بعدَ البَيْنِ أقنَعُ بالهجرِ

فأعجبه ذلك ووقع منه أحسن موقع ، وغنى به « مؤنس » فطرب وأمر له بخلع نفيسة وكيس فيه ألف دينار وفرس بسرج ولجام مُحَلَّيَيْنِ . وهذا قد كان يحسن منه لولا انهماكه [ فى ملذاته ][2] الذى كان فيه هلاكه .

وقال أبو بكر محمد بن محمد الصُّولى فى كتاب « الأخبار المنثورة » من تأليفه : حدثنى أبو الحسن على بن جعفر الكاتب ، حدثنى أبى ، قال : كان لزيادة الله ابن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد — وهو زيادة الله الأصغر ، وكان أميراً بإفريقية — غلام فحل صبى يُدعى خَطّاباً — وهو الذى اسمه فى السكك — فسخط عليه وقيده بقيد من ذهب ، فدخل يوماً من الأيام صاحبُه على البريد — وهو عبد الله بن الصائغ — فلما رأى الغلامَ مقيداً تأخر قليلا ، وعمل بيتين وكتب بهما إلى زيادة الله وهما :

يأيها الملك الميمون طائرُهُ رفقاً فإن يد المعشوق فوق يدكْ
كم ذا التجلد والأحشاء راجفةٌ أعيذ قلبَك أن يسطو على كبدكْ

(١) عبد الله بن الصائغ هو صاحب بريد زيادة الله هذا ثم وزيره ، وهو الذى أشار عليه بقتل أعمامه ومن يتوقع أن ينافسه فى العرش من آله ، وهو وأبومسلم منصور بن إبراهيم — الذى ولاه الخراج — مسئولان عن كثير من الأخطاء التى وقع فيها وأدت إلى ضياع ملكه وذهاب دولة بنى الأغلب . وقد آل أمره إلى أن قتله زيادة الله ، وكان ذلك بعد فرارهما جميعاً . وقد كان مقتل عبد الله بن الصائغ فى طرابلس سنة ٢٩٦ .
انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ / ١٣٤ — ١٤٦ .

(٢) أضفت ذلك للسياق .

فأطلق الغلام ورضى عنه ، ووصل عبدَ الله الصائغ بالقيد الذهب[١] .

ومن شعر زيادة الله ما حكى الصُّولى أيضاً فى « كتاب الوزراء » من تأليفه أن العباس بن الحسن ، لما استوزره المكتفى أبو محمد على بن أحمد المعتضد ، أراد أن يريه أنه فوق الوزير قبلَه القاسمِ بن عبيد الله بن سليمان بن وهب فى التدبير ، [٥١-١] فاستأذنه فى مخاطبة بن الأغلب هذا ، ففعل ، فوجه ابن الأغلب إليه/ برسول معه هدايا عظيمة ومائتا خادم وخيل وَبَرٌ كثير وطِيب ، ومن اللبود[٢] المغربية ألف ومائتان ، وعشرة آلاف درهم فى كل درهم عشرة دراهم ، وألف دينار فى كل دينار عشرة دنانير ، وكتب على الدنانير والدراهم فى وجهٍ :

يا سائراً نحو الخليفة قل له أن قد كفاك الله أمرَك كلَّهُ
زيادةُ الله بن عبد الله سيـ ـفُ الله من دون الخليفة سلَّهُ

وفى الوجه الآخر :

ما ينبرى لك بالشقاق منافقٌ إلا استباح حريمَه وأحلَّهُ
من لا يرى لكَ طاعةً فالله قد أعماه عن طُرق الهدى وأضلَّهُ

---

(١) روى ابن عذارى هذا الخبر فى صورة أخرى ، فذكر كلفه بهذا الغلام خطابه وكتابة اسمه فى سكة الدنانير والدراهم ، ثم غضبه عليه ، ولكنه قال إن الذى قال الشعر جارية من جواريه . (البيان : ١/١٤٣)

وغلام فحل معناه أنه ليس من الخصيان ، فقد كان أولئك الغلمان الذين يشتريهم الأمراء إما فحولا – أى لم يخصوا – أو خصياناً .

(٢) كذا . والمشهور اللبود بالدال المعجمة وهو قماش من الصوف الغليظ الأبيض ،كان يستعمل فى صنع نوع من القلانس الطوال ، وفى بعض الأحيان تصنع منه الخفاف . وقد يلبسه المقاتلة ليقى أجسامهم . وهو يقابل بالفرنسية feutre . انظر : ملحق القواميس لدوزى: ٢/٥١٠ .

# ٦٧ — محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب، أبو العباس[١]

وَلِيَ لابن عمه إبراهيم بن أحمد بن محمد طرابلس ، فكان يشق عليه حسن سيرته ويكره ذلك . وكان عالماً أديباً شاعراً خطيباً ، مع عشرة لإخوانه ، ولين

---

(١) سيذكر ابن الأبار هنا وفى الفصلين التاليين نفراً من كبار بنى الأغلب الذين نمى زامباور ذكرهم فى جدول نسبهم (ص ١٠٥ من الترجمة العربية) . وقد رأيت لهذا أن أكل هذا الجدول هنا :

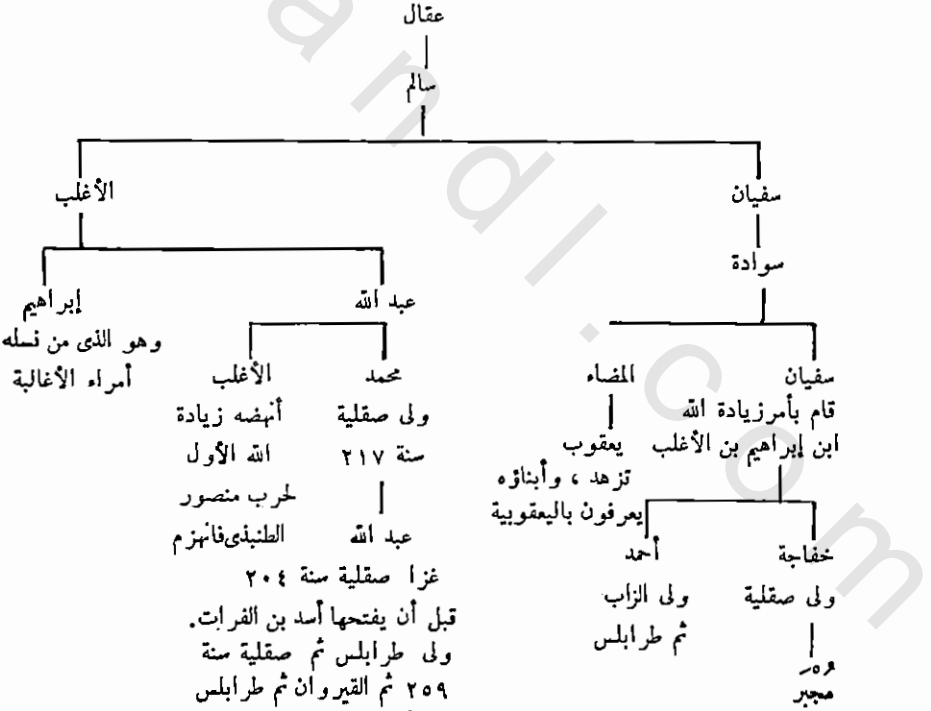

جانب لأخدانه ، لا ينادم إلا أهل الأدب . وكان أبوه زيادة الله قد وَلىَ إفريقيةَ بعد أخيه أبى إبراهيم أحمد بن محمد ، وكان محمود السيرة ذا رأى ونجدة .

يُروى عن سليمان بن عمران القاضى أنه قال : « ماوَلىَ لبنى الأغلب أعقلُ من زيادة الله الأصغر » ، سماه « الأصغر » لأنه سُمى باسم عم أبيه زيادة الله ابن إبراهيم المتقدم ذكره . وبعدهما وَلىَ زيادةُ الله بن عبد الله ثالثُهم ، وهو آخر ولاتهم .

ولم يزل إبراهيم بن أحمد يحقد على محمد هذا ما يؤثر عنه من جميل ، إلى أن قتله . وكان الذى هاجه لذلك وبعثه عليه — مع قِدم حسدِه له — أنه وجه رسولا إلى بغداد ، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل تونس شكوا إلى المعتضد صنع إبراهيم ، فقال المعتضد : « عجباً من إبراهيم ! مايبلُغنا عنه إلا سوء الثناء عليه ، وعاملُه على طرابلس يبلُغنا عنه خلافُ ذلك من رفقٍ بمن وَلىَ عليه وإحسانٍ » ، فمضى إبراهيمُ قاصداً إلى طرابلس فقتله وصلبه بَغياً وحسداً ، وقتل أولاده وعاث فى أصاغرهم عَيْثَه المشهور ، حتى إنه شق جوف بعض نسائه عن جنينها جرأةً على الله تعالى ، وذلك سنةَ ثلاث وثمانين ومائتين .

[٥١ — ب] وقرأتُ فى تاريخ أبى إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق / أن المعتضد كتب إلى إبراهيم من العراق : « إن لم تتركْ أخلاقَك فى سَفْك الدماء فأسْلِم البلادَ إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحِب طرابلس » ، فخرج إبراهيمُ إلى طرابلس فى خفيةٍ ، وأظهر أنه يريد الخروجَ إلى مصر ، حيلةً منه ، إلى أن ظفر به فقتله وصلبه . وكان بين خروجه ورجوعه خمسة عشر يوماً .

قال : وكان محمد هذا أديباً ظريفاً ، ألف كتاب « راحة القلب » وكتاب « الزهر » و « تاريخ بنى الأغلب » .

ومن شعره ما أنشده له أبو على حسين بن أبى سعيد القيروانى صاحب « الكتاب المُغْرِب عن المَغْرب » :

وما شجا قلبى بتُوزَرَ أننى تناءيتُ عن دار الأحبةِ والقَصْرِ
غريباً ، فليت اللهَ لم يخلُقِ النَّوَى ولم يَجْرِ بَيْنٌ بيننا آخِرَ الدهرِ

ومن بنى عمهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم ، أبو العباس . ويُعرف هو وأبوه محمد وعمُّه الأغلب بن عبد الله ، ببنى عبد الله . وجده عبد الله — الذين يعرفون به — هو أخو أبى إسحاق إبراهيم بن الأغلب .

وكان عمه الأغلب ممن أُنهض لحرب منصور بن نصر الطُّنْبُذِىّ أيامَ زيادة الله ابن إبراهيم ، فجنَّد له جُنده وانهزم .

ووَلىَ محمد بن عبد الله لزيادة الله المذكور صقليةَ سنة سبع عشرة ومائتين ، وفتح بها فتوحات . وقد كان زيادة الله أغزاه إليها سنةَ أربع ومائتين — قبل فتحها على يد أسد بن الفرات بنحوٍ من ثمانى سنين — فسبى منها شيئاً كثيراً وانصرف .

ثم وَلِيَها ابنهُ عبد الله بن محمد هذا لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، المعروف بأبى الغرانيق ، سنةَ تسع وخمسين ومائتين — وكان قد وَلىَ قبل ذلك بحينٍ أطرابلس — ثم وَلِيَها مرةً أخرى بعد ولاية صقلية [ و ] وَلىَ أيضاً إمارةَ القيروان . وكان أديباً شاعراً ، طالباً للحديث والفقه . وهو القائل لما أتاه كتابُ عزْله عن طرابلس يخاطب أبا هارون موسى بن مرزوق صاحب بريدها ، وكان له صديقاً :

قد أتى فى الكتاب ما قد علمنا من تناء ورحلةٍ وفراقِ
وعددْنا الأيامَ فهىَ ثمانٍ بعد خمسٍ سريعة الإفتراقِ

[٥٢-١] /فعليكَ السلامُ إنَّ فراق قد دنا ، والفراقُ مر المذاقِ

* * *

ومن بنى أخى الأغلب بن سالم :

## ٦٨ — يعقوب بن المضاء بن سوادة بن سفيان ابن سالم بن عِقال التميمى

كان أبوه من أمراء بنى عمه الأغالبة ، ورغب يعقوب عن السلطانِ وولايته ، وانصرف إلى النسك ، ونَزَع السواد ، وأعرض عن الدنيا ومال إلى الآخرة . وله بنون ينتسبون إليه فيقال لهم « اليعقوبية » . وهو الذى توجه إلى العباس محمد ابن الأغلب الكَوْسَج ، مع ابن عمه خفاجة بن سفيان بن سوادة ، فأصلحا بينه وبين أخيه أحمد القائم عليه وأشارا بتأمينه ، وقد تفاقم الخطب بينهما ، فقبل ذلك محمد فى حديث طويل ، ووصل إليه وعاتبه ، ثم أمره بالتوجُّه إلى المشرق ، فسار إلى العراق وبها مات . ويعقوب هو القائل :

فإن تَكُ لِمَّتى كُسيتْ بياضاً وبُدِّل لى المشيبُ من الشبابِ
فقد عُمِّرتُ ذا فرعٍ أثيث كأن سوادَه حنكُ الغرابِ
فلا تعجلْ ، رويدك ، عن قريبٍ كأنك بالمشيب وبالخضابِ

## ٦٩ — أحمد بن سفيان بن سَوادة بن سفيان ابن سالم بن عِقال

وعقال هو ابن خفاجة بن عبد الله بن عبّاد بن محرث بن سعد بن حزام

ابن سعد بن مالك بن سعد بن زيدِ مَناة بن تميم . وسالم بن عقال هو جد الأغالبة ، وهو جد هؤلاء .

وَلِيَ أحمدُ هذا الزابَ ثم وَلِيَ طرابلسَ وأعمالَها سنين كثيرة ، وله بها أخبار وآثار ووقائع مشهورة . وكان من الجنود بمكان رفيع ، وهو أيضاً ممن قام بنصرة أبي العباس محمد بن الأغلب على أخيه أحمد ، مع أخيه خفاجة بن سفيان وابن عمهما يعقوب بن المضاء ، حتى ظفر به أبو العباس وانحفظ سلطانه . وكذلك قام أبوه سفيان بن سوادة بأمر زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب فى حروبه ، وكان سبب ثبات مُلكه . وفى أحمد بن سفيان هذا يقول بكر بن حمـــاد التاهَرتى من قصيدة له :

/وقائلةٍ : زارَ الملوكَ فلم يُفِدْ فياليتَه زارَ ابنَ سُفيانَ أحمدَا [٥٢-ب]
فتًى يُسْخِطُ المالَ الذى هو ربُّهُ ويُرضِى العَوالى والحُسامَ المهنَّدَا

وكان خفاجة بن سفيان — أخو أحمد هذا — من رجالات بنى عمه الأغالبة ، وهو أكبر سنا منه وأجل حالا ، ووَلِيَ صقليةَ فأقام بها مدة ، ونُصر على الروم فله فيهم فتوحات شهيرة .

ومن شعر أحمد :

قرِّبوا الأبلقَ إنى أعرفُ الخيلَ العِتاقا
وعليها أصرع الأبـ ـطالَ طعناً واعتناقا
أخبط الأرواحَ والأنـ ـفُسَ بالرمح صِداقا
وأروِّى من نجيع الـ ـهامِ أسيافاً رِقاقا
تنقع الأعداء فى النَّقْـ ـعِ حميماً وغساقا
فإذا ما دارت السَّلـ ـم بما نبغى وفاقا

وأزحْنا كلَّ ما كا ن شقاقاً ونفـــاقا
اصطبحناها سُـــلافاً وشربنـــاها اغتباقا
وأدرنا الـكاس بالرا حِ على الشَّربِ دِهاقا

وله أيضاً من قصيدة أخرى :

إنما الأباقُ حِصْنى ثم رُمحى وحُســامى
فيــه عزٌّ لعَشِيرى وبه عنهم أُحامى
وبه أشفى من الأعـــ ـداء صـــدرى بانتقامِ
أنا من سر نزار وابنُ ساداتٍ كرام
أنا من سعدِ تميمٍ لستُ من سعدِ جُذام
أنا من قد جالَ ذِكْرى وجـــرى بين الأنام
باحتمالى كل ثِقْـــلٍ فى الملمات العِظـــام
وسِدادى[1] كل ثغرٍ ثم حزمى وقيـــامى
أنجبتنى السادةُ الصِّيـ ـدُ ، هِمامٌ لهمام
[ سالم قد كان ][2] جَدِّى ثم سفيانُ المحامى
أركبُ الهولَ بكرّا تى على الجيش اللُّهَام
[أخطف][3] الأرواحَ كالصقـ ـرِ لأرواحِ الحَمام
تعرف الأنسُرُ بأمسى فهى من فوق حَوَام

(١) الأصل كلمة لم يبق منها إلا شىء مثل : طى ، وفى نسخة باريس جعلها الناسخ : ملى ، فجعلتها هكذا . والكلمة الأصلية لا تخرج على أى حال عن هذا المعنى .

(٢) بياض بالأصل ، أكملته على هذه الصورة للسياق .

(٣) هذه الكلمة ناقصة فى الأصل .

ميَّزتْ فى الحرب رايا تى وأرماحى الدوامى
فهى حولى عاكفات وهى خلفى وأمامى
ترقب الطعم الذى عوَّ(م)دْتُها يومَ صـــدامى
أبداً تعرف منى هكذا فى كلِّ عام
فإذا ما آلت السَّلْـ مُ وصرنا للمُـــدام
أبصرتْ عيناك منا أنجُماً تحتَ الظلام
تتلاقى ونُبَـــدِّى بتحيات الســـلام
ونُنِيلُ الزائرَ المه روفَ من قبل الكلام

* * *

/ ومن رجال الأغالبة : [٥٣ - ١]

## ٧٠ — مُجْبَر بن إبراهيم بن سفيان

كان من أهل الشرف والثروة ، وولاه إبراهيمُ بن أحمد الأربُسَ وغيرَها ، وكان ينادمه لحذقه الغناء ، ثم أخرجه إلى صقلية وولاه العسكر الذى بمسِّينى وأرضِ قَلُورِيَة بعد وقعة ميلاص[١] فخرج فى شينى يريد قلورية[٢] ، فأسرته الروم وحُمل إلى القسطنطينية فمات بها . وهو القائل فى أسره ، من قصيدة طويلة بعث بها من محبسه عند الروم ورواها فى أيام بنى الأغلب أكثر الناس :

(١) ميلاص هى Milazzo فرضة صغيرة على الساحل الشمالى لجزيرة صقلية ، وهى إلى الشرق من مسِّينى Messina

(٢) قلورية هى Calabria وهى شبه الجزيرة الغربى البارز من جنوب شبه الجزيرة الإيطالية فى اتجاه صقلية .

ألا ليتَ شِعرى ما الذى فعل الدهرُ بإخواننا يا قَيْرَوَانُ ويا قَصْرُ
ونحن فإنّا طخطختنا[1] رَحَى النَّوَى فلم يجتمع شملٌ لنا [ ، لا ] ولا وَفْرُ
رأينا وجوهَ الدهر وهْىَ عوابسٌ بأعيُنِ خطبٍ فى ملاحظها شَزْرُ

وآخر هذه القصيدة :

لعل الذى نجّى من الجُبِّ يوسُفاً وفرّجَ عن أيوبَ إذْ مَسَّهُ الضُّرُّ
وخلّصَ إبراهيم مِن نارِ قومِهِ وأعْلَى عصا موسى فذَلّ له السحرُ
يصبِّر أهلَ الأسْرِ فى طول أسرِهِمْ على مُعْضلات الأسر، لا سَلِمَ الأسرُ !

## ٧١ — أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة بن السبال

( بالباء ، بواحدة واللام ) ويعرف حمزة بالحرون ، وقد تقدم ذكره . وابنه محمد بن حمزة هو الذى وجهه زيادة الله بن إبراهيم للقبض على منصور الطُّنْبُذِىّ بقصره بالمحمدية ، فكاده .[2] وقُتل محمد هذا فى وقعة سَبِيبَة[3] ، أيامَ خلاف منصورٍ والجند على زيادة الله .

---

( ١ ) لم أجد فى معانى طخطخ مما يتمشى مع المعنى هنا إلا ما جاء فى لسان العرب ( ٤/٧ ) من أن المطخطخ هو الضعيف البصر ، وقد طخطخ الليل بصره إذا حجبته الظلمة عن انفساح النظر . والأوفق هنا طحطح بمعنى فرّق وكسر وبدّد ( اللسان : ٣/٣٦١ ). واللفظ مستعمل فى هذا المعنى فى العامية المصرية فى صورة ضحضح .

( ٢ ) كان ذلك فى أول ثورة منصور بن نصر الطنبذى فى تونس . وقد روى ابن عذارى الخبر بالتفصيل ، وكيف احتال منصور على محمد هذا ومن معه — ومن بينهم القاضى شجرة ابن عيسى — وحبسهم ، حتى تمكن من تونس . وقد هزمهم هزيمة كبيرة ، وكان ذلك فى ٢٤ صفر ٢٠٩/٢٧ أبريل ٨٢٤ .
انظر : « البيان المغرب » : ١/٩٨ — ٩٩ .

( ٣ ) كانت وقعة سبيبة فى ٢٠ محرم سنة ٢١٠/١٤ مايو ٨٢٥ ، وقد قتل فيها محمد هذا .

وكان أحمد بن محمد حاجباً لإبراهيم بن أحمد ومقدماً عنده ، قد فوّض إليه أمورَه . ووَلىَ ابنُ عمه القَيْرَوان . وهو من بيت رئاسة وقيادة ، مع علم واسع وأدب بارع ؛ ومن شعره :

ليس كلُّ الذى يُدار علينا من أمورٍ يوافق المقدورا
قد قضى الله ما لَنا وعلينا قبلَ أن يُبرِمَ العدوُّ الأمورا

## ٧٢ — الحسن بن منصور بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر ابن نافع / بن محمِيَّة المُسْلِىّ المذْحِجِىّ ، أبو على [٥٣ - ب]

من بيت قيادة وإمارة ؛ وكان جدُّ أبيه عبد الرحمن بن عامر ، وابنُ عمه عامر ابن إسماعيل بن عامر بن نافع ، ممن قدم مع محمد بن الأشعث الخزاعى من قواد العباسية . وخرج عمه عامر بن نافع على زيادةِ الله بن إبراهيم بن الأغلب ؛ وسيأتى ذكره . وعامر بن إسماعيل هو الذى قتل مروان الجَعْدِى ، وكان مقدماً عند أبى العباس السفاح ومَن بعده لأجل ذلك .

وكان الحسن بن منصور هذا يجمع إلى شرف آبائه وأهل بيته علماً واسعاً وأدباً كاملا ، وأقل ماتصرف فيه الشعر . وكان بصيراً باللغة ، نافذاً فى النحو ، عالماً بأيام العرب وأخبارها ، ووقائعها وأشعارها . وهو القائل يرثى ابن عم له يُكنى أبا الفضل ، من قصيدة طويلة أولها :

حَلَّ أمرٌ لم يُغْنِ فيه احتيال يَقْصُر الوصفُ دونَه والمقالُ
كان مِن قبلِه البكاء حراماً وهْوَ مِن بَعدُ للعيون حلالُ

ومنها :

يا أبا الفضل حَمَّلْتنى المنايا منك ما لا تقوى عليه الجمالُ
وكأنِّى[1] لما تضمَّنكَ اللحـ ـدُ يمينٌ قد فارقتها الشمالُ

وله :

يا قاتلى ظُلماً ، ألم تخشَ ما جاء به التنزيلُ والآىُ ؟
وَأَيْتَ بالوعدِ فما ضَرَّكُمْ لو صدقَ الميعادُ والوايُ ؟[2]
نأيتَ عنى فتبدَّلْتنى كذا لَعمرى يفعل النائُ
فإن يكنْ هجرىَ مِن رأيكمْ فليس لى فى هجركم رايُ

وله يخاطب ابن عمه أبا العرب بن عامر بن نافع :

يا مَن سما للمكرمات فحازَها وغدا وأصبح للسماح مليكاَ
إن الإلهَ بمَنِّهِ وبفضلِهِ جمعَ المكارمَ والمفاخرَ فيكا
أشبهتَ آباء كراماً سادةً بيضَ الوجوه معظَّمين ملوكاَ
[١-٥٤] / وَجِّهْ إلينا بالمُسَبِّحِ إننى تَفْديكَ نَفسى قد ضَمنتُ الديكاَ

ولهذه الأبيات قصة ذكرها صاحب « الكتاب المُعرب عن أبناء المغرب » .

---

(١) الأصل : وبأنى .

(٢) أصل الوَأْى الوعد الذى يوثقه الرجل على نفسه ، ويعزم على الوفاء به ( اللسان : ٢٠/٢٥٤ ) .

# ٧٣ – عبد الله بن الصائغ
## ( المعروف بصاحب البريد )

أحد ولاة زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك بنى الأغلب وأصحابه المخصوصين بلطف المنزلة عنده ، وتغيَّر عليه آخراً فقتله بطرابلس عند انتقاض دولته وهربه إلى مصر أمام الشيعى فى سنة ست وتسعين ومائتين ؛ وقد تقدم من خبره ومن شعره ما أغنى عن إعادته . وهو القائل أيضاً :

رأيتُ دجْناً فقلت الراحُ أشبهُ بى ... فقُمْ بنا أيها المخمورُ نصطبحِ
فقام يمسح وجهاً كلُّه قمرٌ ... وقمتُ ألثمهُ مِن شدة الفرحِ

وله :

طالعتْنى طوالعُ الشوقِ لما ... أنْ بدا البدرُ فى مثالِ طُلوعكْ
يا غزالاً أقسى منَ الصخرِ قلباً ... ليتَ قلبى يبيتُ بين ضلوعكْ
أنا أرضَى أنْ أقبِّلَ نعليـ ... ـكَ على قُبحِ ما بدا من صنيعكْ

وله :

إذا قلتُ : زرنى ، قال : قالوا وشنَّعوا .. ... تُرى – هكذا – من كان فينا يُصَدَّقُ ؟
فيا كبدى رِقِّى على الكبد التى ... أقامت على عهد الهوى وهى تحرقُ
كأنى إذا ما الليلُ أرخى سدولَه ... بقلبى إلى بعض النجوم مُعلقُ

* * *

## أول ملوك الشيعة الناجمين فى آخر هذه المائة :

## ٧٤ – عبيد الله الملقب بالمهدى ، أبو محمد

قال الرازى[١] : « اختلف الناس فى نسب عبيد الله . فقال قوم : هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن البصرى من مدينة سَلَمْيَة . وزعم هو أنه عبيد الله ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . قال : وأخبرنا الثقة عن أبى القاسم أحمد بن إسماعيل الرسى الحسنى أنه قال : [٥٤ – ب] بالله الذى / لا إله إلا هو ، ما عبيد الله منا[٢] . ولا أقول هذا لما فعل ، فقد فعل مَن لا يُشَك فى نسبه أكثر من فعله وأشنع » .

وقال أبو بكر بن الطيب الباقِلّانى ، وذَكر عبيدَ الله وبنيه : هم أدعياء ، إذ هم بنو عبيد الله بن ميمون القَدّاح ، ادَّعوا إلى على بن أبى طالب ؛ وذَكر لهم قصة طويلة[٣] .

وأهل مصر يصححون نسبهم .

وذكر ابن أبى الطاهر[٤] فى « أخبار بغداد » أن اسم الخارج بالقَيْرَوان عبيد

---

(١) كلام الرازى عن العبيديين له أهمية خاصة هنا ، ولا نعرف إن كان القائل هنا أحمد بن محمد الرازى أو ابنه عيسى بن أحمد . وعلى أى حال فهو يصور لنا الآراء التى كان يتناقلها بنو أمية الأندلسيون وأنصارهم فى نسب العبيديين ، وهم خصومهم سياسياً ومذهبياً .

ويلاحظ أن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر كان لا يستبعد صحة انتساب عبيد الله الشيعى إلى على بن أبى طالب ، فقد ساق ابن عذارى هذا النسب ثم قال : « وهو مذهب المستنصر بالله الأموى » . البيان المغرب : ١٥٨/١ .

(٢) نُسب مثل ذلك القول إلى أبى القاسم بن طباطبا العلوى ؛ قال : « والله الذى لا إله إلا هو ! ما عبيد الله الشيعى منا ، ولا بيننا وبينه نسب » . ابن عذارى ، البيان : ١٥٨/١ .

(٣) ذكر الباقلانى ذلك فى كتابه « كشف الأسرار وهتك الأستار » .

(٤) كذا ، والأصح ابن أبى طاهر ، وهو أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر طيفور صاحب « تاريخ بغداد » المتوفى سنة ٨٩٣/٢٨٠ ، وكتابه هذا من أكبر المراجع التى اعتمد عليها الطبرى فى تاريخه .

الله بن عبد الله بن سالم ، مولى مُكرم بن سِندان الباهِلىّ صاحب شُرَط زياد المنسوب إليه عسكر مكرم ، فانتقل عبدُ الله بن سالم إلى سلمية . وكان وكيلا للتجار ، وقيل كان يبيع الصُّفْر ويتشَيَّع . فلما خرج القرمَطىّ بالشام أضرّ به وطالبَه ، فهرب إلى مصر ثم إلى المغرب ، وكان يُعرف بابن البصرى .

قال الرازى : ودخل معه — يعنى القيروان — ابنُه محمد المعروف بأبى القاسم ( واختلفوا فى اسمه ونسبه ، فطائفة قالت : عبد الرحمن ابنُه ، وطائفة قالت : محمد ربيبُه ) . ويقال إن عبيد الله من بنى حسن بن على ، وأن أبا القاسم القائم بعده من بنى الحسين بن على ، إسماعيلى تزوّج عبيدُ الله أمَّه وهى رومية تسمى «لعب» .

وقيل فى اسم أبى القاسم عبد الرحمن ومحمد كما تقدم ، وقيل حسن ويُكنى أبا جعفر . خرج به عبيدُ الله من الشام يتصدى للسلطان ، ويخاطر فى طلب المُلك قاصداً المغربَ ، وعبيدُ الله إذ ذاك شابٌّ عند كماله . وخرج معه خاصتُه وثقاتُ رجاله ، ولما انتهى إلى مصر أمَّل أن يقصد اليمنَ ، ثم كره ذلك فخرج من مصر فى زى التجار ، وخلص من يد عاملها فى قصة طويلة ، وانتهى إلى سَجِلْمَاسَة[1] فدانَ له المغرب واجتمعت عليه البربرُ . وزحف داعيتُه أبو عبد الله الشيعى بهم إلى زيادة الله الأغلبى فكسر جيشَه فى سنة ست وتسعين ومائتين — حسبما ذُكر قبل — فهرب زيادةُ الله إلى مصر . وبويع لعبيد الله برَقّادة يومَ الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ، وكان وصولُه إليها يومَ الخميس قبلَه ، ودُعى له بالإمامة .

وفى هذه السنة انقرض مُلك بنى الأغلب بعد مائة سنة واثنتى عشرة سنة ،

---

( ١ ) كذا فى الأصل بفتح السين الأولى ، والمشهور بكسرها ، وسنتركها بضبط المخطوط فيما يلى من النص .

[٥٥-١] ومُلك بنى مدْرار بسَجِلْمَاسَة بعد مائة سنة وستين سنة ، ومُلك / بنى رُسْتُم بتاهَرْت عن مائة وثلاثين سنة .

وكثرت السعايات بأبى عبد الله الشيعى — وهو الذى مهَّد لمُلك عبيد الله وشدَّ سلطانه مجالداً ومجادلا — فقتَلَه وأخاه أبا العباس يومَ الثـــلاثاء مُستهلّ ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ، وأمر بدفنهما فى بستان القصر .

ثم ابتدأ بناء « المهدية » يومَ السبت لخمس خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة ، وارتاد مواضعها ؛ وقصد التحصين بها على أهل بيته لما كانوا يتحدثون به من ظهور أبى يزيد الخارج عليهم وعَيْثه فى مُلكهم ، فكان ذلك . وفى بنائها يقول بعض شعراء إفريقية :

خُطَّت بأرجاء المغاربِ دارُ دانتْ لها الأمصارُ والأقطارُ
لانتْ بِبَرْدِ الماء لما أيقنتْ أنَّ القلوبَ على الحُسينِ حِرَارُ

وكان انتقالُ عبيدِالله إليها فى شوال سنة ثمان وثلاثمائة ، بعد أن مَلك إفريقيةَ وأعمالَ المغربِ وطرابلسَ وبرقةَ وصقليةَ .

وسيَّر ولىّ عهده أبا القاسم إلى مصر دفعتين : الأولى فى سنة إحدى وثلاثمائة ، فملك الإسكندريةَ والفيومَ وجبى خراجَهما وخراج بعض أعمال الصعيد ، وعاد إلى المغرب فى سنة اثنتين وثلاثمائة ؛ والثانية سنة ست وثلاثمائة ، فملك الإسكندريةَ أيضاً .

ولم يزل سلطانُه يتمهَّد ، وظهورُه يتزيَّد ، إلى أن توفى منتصفَ شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . فكانت ولايتُه — منذ وصل إلى رَقّادة وبويع بها ، إلى يوم وفاته — أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً . وقيل : كانت خلافته — من يوم ظهوره بسَجِلْمَاسَة فى أول ذى الحجة سنة ست وتسعين

ومائتين وفيها سُلِّم عليه بالخلافة ، إلى يوم وفاته بالمهدية — خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وهو ابن اثنتين وستين سنة . مولده سَلَمِيَة — وقيل ببغداد — سنة ستين ومائتين . ومولد أبى القاسم ابنه سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة ثمانين .

وكان ، مع نجدته وشهامته ، مفوّهاً فصيحاً عالماً أديباً . قال أبو عبيد البكرى : لما تغلب عبيدُ الله الشيعى ، كتب إلى أهل المغرب يدعوهم إلى الدخول فى طاعته والتدثُّر بإمامته ، وكتب بمثل ذلك إلى سعيد بن صالح[1] ، وكان والياً على نَكُور[2] وما إليها من أعمال المغرب / لبنى مروان ؛ وكتب فى أسفل [٥٥ - ب] كتابه أبياتاً كثيرة ، منها :

---

(١) راجع عن تاريخ سعيد بن صالح هذا ونسبه وتاريخ بنى صالح أمراء نكور البيان المغرب لابن عذارى : ١/١٧٦ — ١٨١ .

(٢) نكور مدينة كانت فى شمال المغرب على نحو عشرة كيلومترات جنوب الحسيمة الحالية إلى الشرق يسيراً ، ولم يبق من آثارها اليوم إلا أطلال قليلة ، وهى واقعة فى إقليم صنهاجة الريف على السفح الشمالى لجبال الريف . وقد أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور فى أواخر القرن الهجرى الأول . وفى سنة ٢٤٤/٨٥٨ — ٨٥٩ نزل بها النرمان — الذين تسميهم النصوص المجوس — وانتهبوا ما فيها . وفى سنة ٤٧٣/١٠٨٠ — ١٠٨١ خربها يوسف بن تاشفين . وقد أجريت بها حفريات سنة ١٩٥٩ .

انظر : أحمد المكناسى : « المدن المندرسة فى شمال المغرب » .

وكتب المكناسى كذلك بحثاً قصيراً عن أطلالها وما قام به من الحفائر فيها فى سنة ١٩٥٩ ، ونشر نتيجة بحثه فى دراسة فى مجلة تمودة تحت عنوان :

*Reconocimientos Arqueológicos en el Rif*, Tamuda, ano VII, Tetuán 1959 Jasc. I, II, p. 156-158 .

وانظر : خريطة المغرب الأركيولوجية ، لنفس المؤلف ( تطوان ١٩٦١ ) ص ٢٤ . وقد تحدث عنها البكرى والإدريسى ، أنظر فهرس الأعلام فى كل منهما .

فإن تستقيموا أستقمْ لصلاحكمْ وإن تعدلوا عنى أرى قتلكم عدلاَ
وأعلو بسيفى قاهراً لسيوفكمْ وأدخلها عفواً وأملؤها عدلاَ

قال : فأجابه رجل من شعراء الأندلس من أهل طُلَيْطِلَة يعرف بالأخْمَش ، أمره سعيد بن صالح بذلك :

كذبتَ ، وبيتِ الله ، لاتُحسنُ العدلا ولا علم الرحمٰن من قولك الفصلا
وما أنت إلا جاهـــل ومنافقٌ تَمَثَّلُ للجهال فى السُّنة المثلَى
وهمتُنا العليا لدينِ محمدٍ وقد جعل الرحمٰن همتَك السفلى[1]

وكان عبيد الله إذا رأى ابنَه أبا القاسم ونظر إليه فَسُرَّ به يقول :

مباركُ الطلعةِ ميمونُها يصلح للدنيا وللدينِ

## ٧٥ - أبو عبد الله الشيعى
## داعية عبيد الله المهدى

كان — مع قَوْده الجيوشَ وخوضِه الحروبَ — عالماً أديباً شاعراً . وهو الذى حاربَ جيش زيادة الله بن الأغلب وهزمه ، نائباً عن عبيد الله وناصراً لمذهبه وداعياً إلى دعوته . وزحف إلى القيروان ونازلها ، وبها جمهور أجناد إفريقية ، فدخلها واستولى على رَقّادة — دارِ مُلك الأغالبة حينئذ — وعلى أعمال إفريقية .

---

(١) روى ابن عذارى فى البيان المغرب ( ١/١٧٨ ) هذه الأبيات مع خلاف فى الألفاظ . وقد ورد لفظ الجلالة الوارد فى البيت الأول : الإله ، ولا يستقيم به الوزن ، فصوبناه على رواية البيان المغرب .

وقدم عبيدُ الله بعدَ ذلك من سَجِلْماسَة ، فبويع له وقَوِىَ أمرُه واشتد سلطانُه ، ولم يلبث أن قتله وأخاه أبا العباس — وكان أكبرَ منه ، كما تقدم وصفُ ذلك — تولَّى قتلَهما عَرُوبة الكُتامِىّ[1] ، ثم قُتل عَرُوبة هذا منافقاً واستوْصل أهلُ بيته فى أيام عبيد الله . وأبو عبد الله الشيعى هو القائل بعدَ إيقاعه بجيش بنى الأغلب :

من كان مغتبطاً بلينِ حشيةٍ فَحَشِيَّتى وأريكتى سَرْجى
من كان يعجبه ويبهجه نقرُ الدفوفِ ورنة الصَّنْجِ
فأنا الذى لا شىءَ يُعجبنى[2] إلا اقتحامى لجــة الرَّهْجِ
/سلْ عن خميسى إذ طلعتُ به يوم الخميس ضحًى على الفَجِّ [٥٦-١]

البيت الأول من هذه القطعة كقول امرئ القيس :

يارُبَّ غانيةٍ صَرَمْتُ حبالَها ومَشيتُ متئداً على رِسْلِى

وأبيات القصيدة كلها على خلاف ذلك . وكقول الآخر ، ويستشهد به العروضيون :

---

(١) هو عروبة بن يوسف الملوسى الكتامى ، كان من رجال أبى عبد الله الشيعى واشترك معه فى معظم غزواته ، ولكنه كان يحسده ويحسد أخاه أبا العباس المخطوم ، فظل يسعى بهما ، مع نفر آخر من رجال كتامة حتى حفزا عبيد الله على قتلهما . وقد اشترك فى قتلهما مع عروبة جبر بن تُمارِسب الميلى . ولم يقدم عبيد الله على قتلهما إلا بعد أن تخلص من نصيرهما الأكبر بين شيوخ كتامة وهو أبوزاك تمام بن معارك الأجانى : أمر واليه على طرابلس فقتله .

(٢) الأصل : « فأنا الذى يعجبه ولا شىء يعجبنى » مع إشارة فوق « يعجبه » فهمت منها بعد لأى أنها مشطوبة ، وكذلك الواو التى تليها .

لِمَنِ الديارُ بِرَامَتَيْنِ فَعَاقِلٍ دَرَسَتْ وغَيَّرَ آيَها القَطْرُ

وهى من الضرب الأَحَذِّ[1] المضمَر من ضروب العروض الأول من أعاريض الكامل ، وعكسه وهو من الشاذ :

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أنتَ إذا نَهِلَتْ منَ العَلَقِ الرماحُ وعَلَّتِ

(١) انظر ما كتبه عن هذا الضرب ابن عبد ربه فى العقد الفريد ( ط . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة سنة ١٩٤٦ ) الجزء الخامس ص ٤٥٣ – ٤٥٥